


خالد محمد خالد

# الرفاه والسول





كل الحقوق  
محفوظة

Copyright  
All rights reserved

المقطام  
للنشر والتوزيع

القاهرة - مصر  
٥٠ شارع الشيخ رمضان - عابدين

Tel: (00202) 7958215-7946100

Fax: (00202) 5082233

Email:  
elmokatam@hotmail.com

رقم الإيداع ١٩٩٦/٥٢١٨

التقييم الدولي I.S.B.N.

977-02-5732-6

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةٌ

في عام ١٩٨٥ للميلاد رغب المستولون عن مجلة "الحرس الوطني" السعودية في أن أكتب لهم مقالاً دورياً، واستجبت لرغبتهم الكريمة، وبدأت أكتب..

ولم يأخذني تفكير طويل في الموضوع الذي سيستأثر بكتابتي وبقلمي.

ذلك أنه كان ثمة موضوع ينادي في إلحاح، وأنا أتمناه في شوق.

كان الموضوع عبارة عن تقديم الإسلام - كما أفهمه - إلى عالمنا المعاصر، لعله يجد من أمره رشداً، ولعله حين يقرأ هذه الكلمات يجد فيها ما وجده أباه السالفون في غيرها من نور هذا الدين وحكمته.

واخترت العنوان الذي أبث فيه فكري تبعاً، وكان:

### "الإسلام ينادي البشر"

وكتبت بضع مقالات وأنا بها سعيد، حتى أدركتني - فجأة - بداية مرض طويل، فرحت أحاول واستنجد ببقايا صحتي وعافيتي، حتى جاءت الأيام التي كل فيها متني، وتخلّى عني جهدي فاكتفيت بما كتبت للمجلة، ولجأت إلى الله الفتاح العليم، ألا يحرمني من إتمام نعمة هذا الكتاب، الذي تصورته وسيلة خلاص ناجعة لهذا العالم المتخبط والتعس.

وأخذ المرض لا أدرى أنول: "يُداعبني" أم "يشاغبني"، ولم يكن أمامي سوى الطمع في فضل الله وانتظار فرجه القريب..

\*\*\*

وما كان للشوق الحميم أن يتركني للهدوء والتَّصَبُّر؛ فقد كان تفكيري كله في هذا الكتاب، ورغائبي كلها في أن أحمل قلبي مرة أخرى لأبث به ما يفتح الله من كلمات.

وجاء يوم يحمل إشراقة الأمل، وصحوة العمل، فمضيت مع الكتاب محاولاً قدر جهدي أن أمضي معه وفيه خطوات تشجعني على عزيمة السير والمتابعة..

كانت رغبتني في إتمامه مواكبة لإحساسي بقرب الرحيل..!

وكان همي كله أن أفرغ منه قبل أن أذعن فأجيب..

فرحت أغدُ الخطي، وأقنحم الصَّعب، ثمَّ جعل المرض يشتدُّ ويقوى، ولم يعد يبدو لي إمكان تأليف الكتاب كله.

وقبل أن يقيد الكسل واليأس خطاي، أشار عليَّ ابني محمد، ناشر هذا الكتاب، وصاحب دار المقطم للنشر والتوزيع، بأن أكتبه مُجزَّءاً، ويصل للقارئ في أجزاء، كما حدث في كتاب "رجال حول الرسول" ﷺ الذي أخرج في خمسة أجزاء، ثم لا يحمله القارئ اليوم إلا مجلداً واحداً، يتنظم الأجزاء الخمسة.

وتذكرت الحكمة القائلة: "ملا يُدرك كله لا يُترك كله.."

ومضيت أستأنف كتابة ما رأيت أن يكون الجزء الأول من الكتاب وهو الذي يحمله القارئ بين يديه..

\*\*\*

ولكن إلى أي شيء ينادي الإسلام البشر؟

هذا طبعاً موضوع الكتاب، فهو ينادي البشر:

- إلى هذا الرسول
  - إلى هذا الكتاب "القرآن"
  - إلى هذا الدين
  - إلى هذه التجربة
- وفي هذه الصفحات يقدم الكتاب جزءه الأول

"الإسلام ينادى البشر"

إلى

"هذا الرسول"

وقد بنيت على بعض ما كنت قد كتبتته لمجلة "الحرس الوطني" وتتبع بقية ما لم يكن قد نُشِرَ من قبل، فجاء عملاً لما أردت أن أقوله عن نداء الإسلام ودعوته البشر ليلقوا هذا الرسول العظيم ﷺ.



خالد محمد خالد

القاهرة - ١٩٩٦



## بين يدي الكتاب

فى رائعة النهار.. نهار يوم من أيام الحج الأكبر، نزل الوحي على قلب  
الرسول ﷺ بآية الختام:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي  
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

'سورة المائدة: ٣'



كانت الآية الكريمة تسجيلًا للعهد الختامى فى رحلة الرعى التى لبث  
"جبريلها" الأمين عليه السلام، يغدو خلالها بين السماء والأرض على مدى  
ثلاثة وعشرين عامًا، حاملًا نور الإسلام إلى الأرض.. وكلمة الله إلى الناس..  
ومنهج الحق والهدى والخير إلى الحياة والأحياء!!

والآية، وإن تكُ تشجّه بخطابها المباشر والقريب إلى عشرات الألوف من  
المسلمين الحاقين يومئذ حول رسولهم العظيم، وإلى مثلهم من المسلمين الجدد  
المبشرين يومئذ فى مناحى الجزيرة الواسعة المترامية، إلا أنها مع ذلك كانت  
تجاوز كل تقويم الزمان والمكان لتنادى بخطابها المضاء بنور الله جميع الناس  
العائشين على ظهر هذا الكوكب المعاصرين منهم يومذاك، والوافدين على الحياة  
من بعدهم على مدى الأجيال التى ستستقبلها الأرض، ما أذن الله للأرض أن  
تبقى وتقوم!!

ذلك أنها تنزلت على رسولٍ قدمته السماء للناس كافة.

﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

"سورة الأعراف: ١٥٨"

واختاره الله واصطفاه، ليكون رحمته المهداة إلى البشرية كافة.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

"سورة الأنبياء: ١٠٧"

كذلك أعلنت الآية الكريمة اكتمال الدين الواحد، والذي كان دائماً واحداً.. منذ نوح وإبراهيم، وحتى موسى وعيسى ومحمد.. عليهم وعلى إخوانهم الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ذلك الدين الذي اشتق اسمه من حقيقته..

فحقيقة الدين، إسلام القلب والوجه والسلوك لله رب العالمين.

وهكذا، وبهذه المثابة، كانت الأديان كلها بل قولوا كان الدين كله إسلاماً، وكان الرسل كلهم مسلمين..!!

﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ

الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾

"سورة الحج: ٧٨"

﴿ تَحْكُمُ بِمَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾

"سورة المائدة: ٤٤"

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ

حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

"سورة آل عمران: ٦٧"



نزلت الآية إذن تسجل اكتمال الحلقة الأخيرة من دين الله، وتُنهي البشر جميعاً أن الموثق الذي بين الله وبينهم قد بلغ الآن منتهاه وشارف غايته!!  
ومن اليوم ستطوى الصحف، وتحجب الأقلام، ويتوقف الوحي..  
ويبدأ الذكاء الإنساني والإرادة الإنسانية اللذان أحسن الدين تدريبيهما عبر القرون.. يبدأان استئناف المسيرة في نور الوحي المذخور بين صفحات الكتاب المنزل:  
من صحف إبراهيم وموسى.. إلى الإنجيل فالقرآن.

ومن ثم، لم يكن الإعلام بختام النبوة والوحي حَجْراً على مستقبل الإنسان - بل كان إفساحاً لهذا المستقبل، ودعوة للذكاء الإنساني كي يحمل مسئوليته الكاملة تجاه الإنسان ومصيره، وتجاه الحياة وإربائها. مهتدين بهدى الله، ونور الحقيقة، وإلهام المعاصرة.. وهكذا يكون سيدنا "محمد" ﷺ وتكون رسالته رحمة للعالمين.  
وكما لم يكن الإسلام حَجْراً على ما بعده، فإنه كذلك لم يكن إلغاء لما قبله، ولا افتياتاً عليه.

﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي  
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ  
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

"سورة الشورى: ١٣"

﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ  
وعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ  
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾

"سورة البقرة: ١٣٦"

لقد كان الإسلام التجربة الحية الثرية المهداة للبشرية في عصرها الجديد،  
حاملة من التراث السابق كل جوهره الفريد... ومُضيئة للزمن القادم كل طريقه  
المديد... من أجل ذلك، لم يكن من حقه فحسب... بل كان من تبعاته قبلاً... أن ينادى  
البشر - جميع البشر - إلى نهجه ونجربته، وهُدايه.. وإلى رسوله، وقرآنه وسنانه!!

\*\*\*

ولقد تحقق وعدُ الله لهذا الدين بشر رياحه ورفع لوائه، وحفظ كتابه...!!

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

'سورة الحجر: ٩'

وهكذا عاش الإسلام ألف عام وأربعمئة عام، تعرّض خلالها لسيول طامية  
وجارفة من المناورات والمؤامرات والمكائد والحروب، واستودع نرى الأرض في  
أكثر جنباتها وأنظارها أعداداً مباركة وهائلة من شهدائه.. ثم لا يزداد إلا تألقاً  
وتفوقاً ونماءً.

لم تغادر كلمة من قرآنه مكانها في مئات الملايين من المصاحف رغم كل  
محاولات التحريف والبغى...!!

ولم تغيب شعاعة واحدة من شمس عقائده ومبادئه. رغم كل محاولات  
الإطفاء والبهت...!!

بل ولّوا مُدبرين أمام زحفه، أولئك الشائتون والضاغنون عليه.. ولوا وهم  
يحملون أوزارهم على ظهورهم ويحترقون خيبة الأمل ومرارة الإنفلاس...!!

أجل.. على الرغم من كل ما اقترفته قوى الشر والظلام ضد الإسلام في  
قديم الزمان وحديثه، بقي لروحه شبابها النضير، ولبائنه توهجها. وبقي كيانه  
الداخلي كله متفوقاً على كل محاولات الكيد والإحباط...!! وكم كانت رحمة الله  
واسعة.. حتى يخصوصه - حين لم ينهزم هذا الدين العظيم أمام مكائدهم الجائحة.

فقى سورته ونقبت حضارته، ليأخذوا بأيدي شعوبهم وبلادهم من وهدة لظلام،  
والاخطاط، واهمجية إلى مدينة ما كانوا يبالغيه سولا الإسلام وسوره ولولا  
لإسلام وحضارته !!

ألا إنه إذا كان هذا الدين حقاً، لا وقفاً.  
وإنه لكذلك.

وإذا كان ضرورة، لا ظاهرة  
وإنه لكذلك..

وإذا كان دوره في هداية البشرية وقيادتها لم ينته، ولن ينتهي

أقول. إذا كان ذلك كذلك، فإن إصغاء البشر لندائه إياهم وحنافه بينهم،  
يصير من أقدس تبعات رُشدتهم ومستوليات وجودهم ليس لأنه يتجاهل ما  
سقه من مراحس الدين، ولا من سقه من المرسلين. بل لأنه -دون بقية لأدين- يمثل  
الكلمة الخاتمة والجامعة لتوجيهات السماء، ويمثل الخلاصة المركزة للتحريه الدينية  
التي بدأت مع أول نبي ورسول إلى أن أتم الله سوره وبورها مع آخر نبي ورسول.  
ولإسلام بحكم كونه حاتم الأديان قد استبقى منها، واصطحب معها كس  
جوهرها الفريد، ومضمونها العميم كما أنه بهذه المثابة يؤكد جميع الرسالات،  
وجميع المرسلين في الإيمان بها وبهم.

﴿إِنَّمَا أَمْرُ الرَّسُولِ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ  
كُلٌّ أَتَوْا بِالنِّسَابِ وَمَلَائِكَتِهِمْ وَرُسُلِهِمْ لََّا يُفَرِّقُوا بَيْنَ  
أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِمْ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عَفْرَانِكَ رَبِّ  
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

فكل إيمان لدى الإسلام مُهَرَّجٌ وَجَدَّاجٌ، ما لم يكن إيماناً بكافة الرسالات،  
وبجميع المرسلين .

والدين يؤمرون بعض، ويكفرون ببعض، لا يُقيم الإسلام لإيمانهم ورؤس،  
لأنهم بهذا التعيص وبهذه التجربة يسببون الدين أهم حصائمه لتمثله في  
وحدته لعصوية والموضوعية، ويحرمون الحقيقة الدينية من أقوى براهن وجوده  
وصدقه

دع أن الإسلام هو الحقيقة المشتركة في كل برهان، من الحقيقة المكونة لكل  
يقين بوجود النوحى، ووجود الدين. ووجود لأسياء والمرسين !!  
ومشيئة الله وعونه سلتقى شرصيح أكثر هذه النقطة خلال ما هو أتى من  
صفحات البحث ومُتَجَعِّدته .

هناك سرى رأى ايعين ويعلم علم اليقين أن الإسلام يد ينادى اسشر بيه،  
نما يناديهم إلى الحقيقة الدينية ممثلة في كل رسالاتها، وكتبه، ومرسستها، بضاء  
من غير سوء، بعد أن ينهى عنها تحريف المُطَّلِينَ، وصلالة المصلين

كما سعلم علم اليقين أنه حين يُنادى اسشر إليه لاسيما في عصر  
الناشر فلما يناديهم ويدعوهم إلى خلاص أكيد من شتوة لصبيح الذى يفتح  
أشداق أعوراه المدعرة لبيتلح في عياهاها وظلماتها كل مالا حاة بالإنسان بدونه  
من رُوح وصمير من إرادة وفكر ومن افتدار على تحرس وجوده ومُعَدِّقته  
مصيره !!

أجل، إن الإسلام بوصفه كلمة الله الخاتمة في مجال الدين وبوصفه وصية  
الله المحكمة والسالفة في مجال الحياة بقادر على أن يمح العام بصلم بوره  
ويهب هذا العالم الحائر الملتاث هُده

هو قادر على أن يُريح من طريق الكافة من البس، والجموع هادرة من

البشر وأولئك الذين يتكبرون في الأرض غير الحق أولئك الذين يُمدُّونهم في السُّمِّ أولئك الذين كتبوا بي لم يحطوا بعلمه، وأرتابت قلوبهم، فهم في ربهم يتردّدون..!!

لإسلام قدر اليوم، وغداً، وبعد غد، وأنداء أن يُجلى عن أرض المسيرة الإنسانية "دياصورات" الشر، ووحوش الغيبة الآفكة، كما استطاع ذلك في أمسه القريب والبعيد سور دعوته، وصدق حجته، وذكاء منطقته، وروعة ثباته، وقوة إصراره، وجلال تصحياته !!

في من تطوّر أن قد بُعِدَت عليكم الشُّقَّة، أصغوا للإسلام في بدائه، واقترّبوا من بهائه، وأنهلوا من عطائه.

وإذا سألتهم: لِمَ يدعوا الإسلام؟؟ وإلى ماذا ينادي الشر؟؟  
أجيبكم، إنه يناديهم

\* إلى رسوله..

\* وإلى كتابه .

\* وإلى نهجه..

\* وإلى تجربته..

أجل.. الرسول، الكتاب، والمهجع، والتجربة

من هؤلاء يتكون الإسلام، وبهم تتحدّد معاً خصائص شخصيته المصنّة

والباهرة

ولهم ينادي البشر في حدير عظيم، وشوق حميم..





المفتي العام

بشارة ملكهم





شخصية الداعى، هى الدليل الحق، بل الدليل الوحيد على شخصية الدعوة وحقيقة المشر بفقرة، والهاشم بعقيدة، هى حقيقة لفكرة نفسها، والعقيدة ذاتها. والمتجرون بالمبادئ، مهما أوتوا من حديق فى التكر ومهارة فى التحصى، لا يستطيعون أن يمدعوا الناس عن دحائلهم وما يعمرون.. وهم خرم المطاف عاحرون تمامًا عن أن تحوّلوا الهتان إلى صدق، والرئف إلى حقيقة!! وكما قل "كرليس" فى كتابه "الأبطال" مؤحها كلماته وسخرياته لرعماء " لكنيسة " فى العرب:

أقولون: إن "محمدًا" كاذب..!!

إن الكذاب لا يستطيع أن يبنى بيتًا من الطوب،  
فكيف بمرجل بنى عالم المبادئ، والأرواح، والقلوب..!!

أحل - إن الكذاب لا يستطيع أن يبنى بيتًا من الطوب، لأننا ببساطة سنقول له: أرنا هذا البيت تنهوى أكاذيبه، ويولى لدبر..!!

ومبادئ لتغير والإصلاح، لا سيما الكبير منها والجليل، تُشه أن تكون بناء من رُحاح، تكشف وتفصح كن ما يدور داخلها، ووفق ذلك تكشف أنمر الدين يهتمون بها، وتعرّتهم من كل أردية الخداع، وأفعة التمويه!!

والصادقون بما وهبهم الله من هدى قويم، وبما معهم من فطرة نقيّة تقية يصعب من غير سوء.. هؤلاء يمشى نورهم بين أيديهم ولصدقهم بشارق وصياء!!

من أجل هذا، كان أكثر أعداء الإسلام عساء، وأوفاهم نصيباً من حبة الأمل، وسحرية حقة، أولئك الذين حاولوا - يائسين - اسل من شخصية الرسول ﷺ وحاولوا - يائسين - أن يجعلوا عظمته الباهرة، وحصله العظيمة، وبطاهرة موضع همس، أو مدعاة تساؤل - باهت عن اتحادهم إياه موضوع رفض، أو ارتياب !! وذلك حين كذبوا به لم يحيطوا بعلمه، وارتأت قلوبهم، فهم في ريبهم يترددون!!!

والذين أركسوا بما كسوا من الغابرين أحققوا إحراقاً ما بعده إحراق، وانتهى بهم طريقهم الزلق إلى أهوة لماعة، وصدّهم عن انبئ من شخصية "الرسول" ﷺ ما كان هذه الشخصية من عظمة أصلها ثابت وفرعها في السماء!!!

وحلف من بعدهم خلف، ثم خلف، ثم أحلاف - شهدتهم عصور تلو عصور، ماصين على طريق أسلافهم رفيعين في بلاهة وحيه وتناول - نزوة التحدى، وسماهة الانتعاص - فما كانوا أكثر من سابقهم بوفيق، ولا أقلّ خذلاناً وإحفاقاً !!

ولعلّ تاريخ الشريعة لم يشهد شخصية حثرت خصومها وشائنها ودثتهم على أعقابهم صاعرين كما فعلت - بأعدائها رخصومها - شخصية هذا الرسول العظيم !

ذلك أنها "شخصية" مُصاة، يُرى باطنها من ظاهرها مفتوحة، ليس حولها أسور ولا أستار - واضحة ومخوذة، كالسلاح المحرر وصوء النهار !! ولعلّ أعظم ما تطالعنا به هذه الشخصية، أنه ليس بين مبادئ صاحبها وسلوكه فراغ يتسع لمرور شعرة دقيقة، أو حيط رقيق !! وأنه لم يستعد طور سنى عمره عن مدته ولا نقد أملة. !!

وكم كانت صادقة أم المؤمنين "عائشة" رضى الله عنها حين سُئِلَتْ عن أخلاقه فقالت "كَانَ خُلِقَ الْقُرْآنُ !!

ونفس الموقف الذى اتخذه منه شائعه، اتحدوه تجاه القرآن وتجاه الإسلام فما ازدادوا إلا صغارا، وخسارا.

وبقى "الرسول" ﷺ و "القرآن" و "الإسلام" مارا للسماء فى الأرض.. وبمعا.. لا يخبص عذبه وفرائده يفيض بلهى، والخير، والحق شرعا تركوه أقدار الإنسان وأقدار الحياة .

والسماء حين قدّمت للأرض وباسها خاتم الأنبياء وأهل المرسلين، لم تقدّمه فى لفافات من عموص، ولا فى حثّات من الأحاجى والألحاح بل قدّمته فى نور كتبه، وشفافية إهائه شخصيه مقروءة، مثل كتب مفتوح ومُتاح. صيغت كلماته المسطورة بحروف كبر..!!

فمن طعولته، إلى شبابه، إلى رحولته، إلى معشته، إلى مماته، وأنباء حياته الماركة مسطرة بألف عين. مسموعة بألف أذن. يتعقّبها لأعداء والأصدقاء !!

والقرآن العظيم حين قدّم حامله، ومتلقيه، ومُبيّغه، ورسوله، لم يُدّثْه بقداسة راحرة، تجعل الناس يقفون أمامه رُكّعا، وهيايين. !! بل قدّمه بوصفه "شرا" من الشر.. وو حذا بين الجميع. وإن هيأه تهوئه لأن يكون وحداً فوق الجميع!!

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

﴿ إِنِّي أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾

هكذا، علّمه القرآن أن يكون، وأن يقول وقد كان، وبصدق هذه الشخصية المقروءة والمسموعة.. المتواضعة والرفيعة. لم يغزب عن صاحبه

العظيم مثقال ذرة من الوعي بهذه الحقيقة، ولا من اليقين بأن "الصدق" هو الذي سيصحب كثيرًا، لأنه الذي يضحك أخيرًا!!

وإن للصدق ومصات حاطةً يفتحها للذين عموا، فإذا هم مصرون والذين صموا، فإذا هم يسمعون!!

وربَّ للحقيقة "غيرًا" يطرد كل ربح مُتَرِّ وحيث، ونقد كل صدق "محمد" ﷺ و"غير" محمد ﷺ يدلان عليه. ويقودان إليه

فأمام "بجاشي" الحشنة، وقف واحد من أتباعه والمؤمنين به يتحدث عنه وأمام "هرقن" شام، وقف واحد مُثَمِّلًا لكل أحقاد قريش، وكل ضيفها ولؤمها

فهر الحلف الحديثان والمتحدثان في الشهادة له؟؟ وإطرء الحق لسموه وتبله وعظمته..؟؟

أبدًا - لم يختلفا - والتقت شهادة مؤمن الأئمة ومُشركهما على أمر قد قدر وعلى حق استبان وظهر..

وأذا، لم يختلف، لأن أفة الشرك عرفت به عن أن يُعهد عليه الكذب!! وحملته يعترف - ضطرارًا وكرها - بما كان "محمد الأمين" يُعرب به من نصارة الخلق، واستقامة اسهج، وحلال بواعثه، وصدق نيته!!

كان لدى تحدثت أمام النجاشي - جعفر بن أبي طالب - ابن عم الرسول. وأحد الدين باكروا إلى الإسلام، وبيعة "لرسول" ﷺ وقف يقول:

آيها الملك.

"لقد كنَّا قومًا أهل جاهليَّة، نعبد الأصنام.

ونأكل الميتة..

ونأتي الفواحش. ونقطع الأرحام. ونؤسئ الجوار

ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا  
منا . نعرف تصبه ، وصدقه ، وأمنته ، وعمافه هدانا إلى  
الله ، لنعبدَهُ ونُوحِدَهُ ، ونحلق ما كنا نعد نحن وآباؤنا  
من الحجارة والأوثان.. وأمرنا بصدق الحديث . وأداء  
الأمانة.. وصلة الرحم.. وحسن الحوار والكف عن  
المحارم والدماء..!!

ونهاينا عن الفواحش . وقول الزور.. وأكل مال اليتيم..  
وقذف المحصنات.. فصدقناه وأمنّا به..!!

هكذا كان حديث مسلم عن رسوله.. قاه في أمانة رشدة، وصدق أبلح  
وعظيم..

أما عن التحدث عن "الرسول" ﷺ أمام هرقل فكان "أبو سفيان" زعيم  
قريش يومئذ، وكبير المشركين . وإن أي حديث عن الرسول ﷺ ، ليظل ناقصا  
وحدجا، ما لم ينتظم هذا الحوار الذكي ولصديق، بين هرقل وأبي سفيان  
بدأ هرقل الخور سؤال أبي سفيان . عن النبي عليه السلام

هرقل: ما حسبه فيكم ؟؟

أبو سفيان: هو فينا ذو حسب..

هرقل: هل كان من آبائه ملك ؟؟

أبو سفيان: لا

هرقل: هل كنتم تتهمونه بالكذب ؟؟

أبو سفيان: لا..

هرقل: هل يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟؟

أبو سفيان: بل ضعفاؤهم..

هرقل: أيزيدون أم ينقصون ؟؟

أبو سفيان بل يزيّدون

هرقل: هل يرتد أحد عن دينه بعد أن يدخل فيه،

مخطة له ؟؟

أبو سفيان، لا..

هرقل: هل قاتلتموه ؟؟

أبو سفيان نعم..

هرقل: كيف كان قتالكم إيّاه ؟؟

أبو سفيان: تكون لحرب بيننا وبينه سيّئاً يُصيبُ

منا، نُصيب منه..

هرقل: فهل يفتر ؟؟

أبو سفيان لا .

هرقل: بم يأمركم ؟؟

أبو سفيان بالصلاة، والزكاة، والصّلة، والعفاف.

هاتان شهادتان لعدو، وصديق . لمشرك يحاربه، ولمسلم يصدّقه. فهن

اختلفت في الهُتاف برفعة مناقبه، وسُموّ مآدئه .!؟

وبعد أعطى " هرقل " في ذلك اليوم اسعید مثلاً بيلاً لمهج الرجل الخفيف

المنصف في تمحيص الحقيقة، واستطلاع الرأى

وعنى ارفع من أن لعط حشيتّه، ومخافة التمرّد من شعبه، قد صرّوه عن

اعتناق الإسلام، فإن الطريفة والحوار اللذين عالج بهما القضية المُثَرّه، قد أُناب

جدارة "الرسول" عليه الصلاة والسلام بالتصديق والاتباع بالتوقير والإكثار.

حتى وفق مقدّس الحناد، ولتردد ما دام حيّاداً يتوخى الزاهة، وتردّداً ينتظر

الشجاعة، أو يتظر الرماح. !!

ربما ننسئُ ذلك من الكلمات لئاصعة والبارعة انتى عقب بها "هرفل" على هذا الحوار.. فقد قال لترجمته

"قل له - يعنى أيا سفين - لقد سألتك عن حسبه فيكم، فزعمت أنه فيكم ذو حسب.

وكذلك الرسل تبعث هي أحساب قومها !!

وسألتك: هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن.. لا فقلت: لو كان في آبائه ملك، لكان رجلاً يطيب ملك آبائه !!

وسألتك عن أتباعه أضعفاء القوم أم أشراهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.. وكذلك أتباع الرسل !!

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن.. لا.. فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ويكذب على الله !!

وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه، بعد أن يدخل فيه، سخطة له؟ فزعمت أن.. لا...

وكذلك الإيمان إذا حاطت بشاشه لقلوب !!  
وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون.. وكذلك الإيمان حتى يتم !!

وسألتك هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، وأن الحرب بينكم وبينه سجال، وكذلك الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة !!

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر.. كذلك

الرسول لا يغدرون" ١١

ثم يختم "هرقل" حديثه اليلخ قائلا لأبى سفيان:

"إن يك ما تقول حقا، فإنه نبي.. ولقد كنت أعلم أنه

حارج.. ولم أكن أعلم أنه منكم.. ولو أعلم أنني أحلص إليه،

لأحببت لقاءه.. ولو كنت عنده، لفعلت عن قدميه." ١٢

\*\*\*

هكذا كان عبيره. وكان يوره. يهدين إليه، ويدلان عليه!! حتى أوشك

الدين م يروه ولم يخلصوا إليه بل كن مصدرهم في معرفتهم به مجرد السماع

عه ومن ٩٩

من أكثر حصومه ددا، واقسامهم قلنا، وأعمهم حرب ١

إن "هرقل" حين تمى أن سل شرف لقاء سديا "محمد" عليه الصلاة

والسلام، وحين ود نرينا غسل قدميه الشريقتين، لم يكن قد شاهده، ولا عيشه،

بل ولا رآه فكيف لو كان رآه ١٠٠

إن كل ما عرفه به، بصع كلمات سمعها عنه. ومن ٩٩ من ضاغن، وشائعي،

وعدو، يقتلح الحقيقة من تحت أضراسه اقتلاعا.. خشية أن يعرف عنه الكذب إذا

هو تجانف أو زاع ١١

فكيف تمتح عقل "هرقل" وقلبه لهذا الذي سمع ٩٩ وكيف تصممت

روحه بعطر ليس معه قارورته.. عطر قادم من بعيد... ١١٩٩

وكيف انشى صدره على ذلك الشوق الحميم إلى لقاء "الرسول" ﷺ وتلك

الرغبة الحثيثة في أن يغسل قدميه... ١٢٠



وكيف كاد يُسلم لولا تصايح رجال حشيشته، وأبطرة كيسته ١٩.  
لا أحسب أن ثمة سبباً يقدم لنا جواباً شافياً، ويفسر لنا هذه الواقعة وهذه  
الظاهرة سوى ما كانت عليه شخصية الرسول ﷺ، وشخصية دعوته من قوة  
الصدق، وقوة الجذب.. وقوة التأثير..!!

أما قوة "الصدق" فلأنه كان رسولاً حقاً، لا رسولاً مُتَحَلِّلاً وكانت هناك  
نبوءات صادقة، وإرهاصات صادقة بحتمية بحيشته، وقرب ظهوره نُسوءات كان  
يعرفها العالمون والمخلصون من أهل الكتاب - وإن استغشى عليها ثيابهم قوم  
آخرون من أهل الكتب وأيضاً انحدروا إلى كتبه، وتردوا في إنكارها!!

وأما قوة الجذب والتأثير، فلأن أولئك العظم الذين يحارهم الله لحمل  
رسالته، ويصطنعهم لنفسه، ويصنعهم على عيه - يُودع شخصياتهم من لغير  
ومن الإلحاء ما تُدنى منهم القلوب، وبطوع لهم رعب الآخرين ومودتهم حتى  
ب تأثيرهم وهم عاثون، يكاد يفسد تأثيرهم وهم شهود وحاضرون!!!

"المسيح" عليه السلام، رآه ولقي به في حياته عشرات من أسس أو  
مئات - منهم من آمن به، ومنهم من كفر ولكنه مد أن رحل عن دسا، دسا،  
ومئات الملايين تدخل مجال جاذبيته طائعة، راعية، مشتقة

"والرسول" ﷺ عادر الدي إلى الرفيق الأعلى تاركاً عشرات الألوف من  
الدين رأوه، وعاصروه، وأموا به، وأنعوه - نكته مد رحيله، ومئات الملايين  
كذلك تدخل مجال جاذبيته، وتأسرُ بدينه، وتُسرع إليه طائعة، راعية، مشتقة ١١.



إن قوة الصدق، وغرام الطاعة انكسمة فيها قوة الجذب والتأثير لرسالة  
"الرسول" ﷺ و "شخصيته" م تكفياً - عبر الأجيال - عن تقديم النموذج الذي  
قدمناه منذ أربعة عشر قرناً من خلال الحوار، المُشحَّين "هرقل" و "أبي سفيان" ١١

فكثير من الذين عاشوا على دين غير دين "محمد" ﷺ، رفضوا أن يخوضوا الحقيقة، ويُزيّموا قول الحقّ فيه. ورفضوا أن يُعالطوا أنفسهم، ويكتفوا الحقّ وهم يعلمون فمضوا - صدّقيين وشجعاناً - يصدّعون بما عرفوه عن عظمتهم، وصدقهم، وإخلاصهم ويصدّحون - في كلمة فرح مغتبطة - بما بهرهم من شخصيّة المصنّعة والمصنّعة لقرأ مثلاً لواحد من هؤلاء الذين أحبهم عصرنا الحديث ذلك هو "لامارتين" ..

إنّه - كما نعلم - لا يُعرف عنه إيمان بالإسلام ولا برسوله ولا بقرانه - ومع هذا فقد آمن بما احتشدت به شخصيّة "الرسول" ﷺ من صدق، وسرّ، وسُمُو، وُبل، ورحمة، وهُدًى، وأمانة، وعمة، ودكاء، وخلق، ومن اقتدار هائل على تحديّ الباطل وكسر الصلال ومن يمد عميق بالله، وتُثل للدعوة، وولاء مُقيص لميم الحق، والعدل، والخير، والفضيلة، والجمال...!!

فصور ذلك كلّ في كلمات أعطت التعبير النهائي لما يستطيع بسن أن يُبدى من حبّ، وتوقير، وإجلال.. ها هو ذا يتحدث ويقول:

"لم يظهر - قطّ - رحى مثل "محمد" ﷺ عَقْدَ نيّته حول غاية أعظم سُمُوًا.. غاية فوق قدرة البشر.. تستهدف هدم الخرافات القائمة بين الخلق والخالق.. وإعادة الربّ إلى الإنسان، والإنسان إلى الربّ..

وإصلاح المبدأ العقليّ السليم تجاه الألوهية في خواء آله الوثنية الغلاظ المشوّهين. ١١

لم يظهر قطّ رجل مثله قام في أقل وقت بثورة بالغة الشمول، والاستمرار فنشر الإسلام في أقسام جزيرة العرب الثلاثة، وفتح لوحداية الله بلاد فارس،

وخراسان، وما وراء النهرين، والهند، والشام، ومصر،  
وجميع القارة المعروفة بأفريقيا الشمالية، وكثيراً من  
جزر البحر المتوسط، وإسبانيا، وقسماً من بلاد المغرب..!!  
وإذا كان عظم المقصد، وضالة الوسائل، واتساع  
النتائج مقاييس ثلاثة لعبقرية الرجل.. فمن ذا الذي  
يحرر على تشبيه أحد من عظماء العصر الحديث  
بـ "محمد" ﷺ..!!

إن أبعدهم صيئاً لم يصنع غير هزُّ السلاح، ورعرة  
الدول.. ثم يُقيموا - إذ كانوا قد أقاموا شيئاً - سوى  
سلطات مادية مُنْهارة..!!

صحيح أن "محمدًا" ﷺ هزُّ سلاحاً، وأزاح شرائع،  
ورعزع دُولا وأمماً وأباطرة..

يَبْدُ أنه فوق ذلك أزاح أفكاراً، ومعتقدات، وعيّر  
نفوساً، وأقام على كتب - أصبح كل حرف منه شريعة -  
جنسية وروحية لأمم شتى..!!

ثم هو قد طبع هذه الجنسية الإسلامية بسمة المقتضى  
للآله الباطلة، والحب لله الواحد الأحد..!!

فيلسوف، وخطيب - رسول، ومُشْرِع، محارب، وفاتح  
لأفكار، ومصلح لعقائد - مُحْيٍ لعبادة بغير صور ولا  
تماثيل..!!

مؤسس لعشرين دولة دنيوية، ومُنْشِئٍ لعالم من  
الروح..!!

ذلكم، هو "محمد" ﷺ..

فمن ذلك الرجل الذي يمكن أن يكون أعظم منه،  
بكل المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان. ١١٩

ما الذي جعل هذا الشاعر الفرنسي الكبير - من شعراء القرن التاسع عشر -  
يُصرِّح كتابه "السفر إلى الشرق" بهذه الكلمات بوصف الحسان، عن رسولٍ لم  
يُعرف عنه إيمان به، ولم تُصُدِّه مسيحيته عن الاعتراف بعظمته، وروعة أيامه ١٢٠  
ما الذي هاج أشواقه إلى العظمة الإنسانية حتى رآها مكتومة ومردهرة في  
شخصية رسولنا ﷺ، وفي أخلاقه، وفي ديبه، فراح يحْيِيه نحيباً مؤلِّهاً جدلاً ١٢١  
عليه صلاة الله وسلامه، وله تحياته وبركاته فهو رحمة الله للعالمين  
ولنقل مع "لامارتين".

مَنْ ذلك الرجل الذي يمكن أن يكون أعظم منك  
بكل المقاييس التي تُقاس بها عظمة الإنسان..!!



## الفصل الثاني

رجال كل العصور



إنَّ هذ الذي تلوه، وطلعنائه من كمات الشاعر والمفكر الفرنسي الكبير  
"لامارتين" م يكن وحيداً بين الآراء والاعترافات التي أدلى بها في عجاب  
وافتتان وصدق رجال كثر، وكبر، من الدين أمصّوا حياتهم، وقصّوا نحبهم، وهم  
خارج دائرة الإسلام

يَبْدُ أن ثقافتهم وأطلاعهم الواسع المتراحم ثم احترامهم لأنفسهم  
ولتفكيرهم كل هذ جعلهم يحور أمام عظمة الرسول ﷺ وبقائه وثقه !  
ثم لم يستطيعوا صرا على اختزان عجابهم، ولا على كتمان الولاء الذي  
أفعم به وجدانهم وتفكيرهم..

ولاء من، ومن..؟؟

ولاء أناس مصفين يديون بغير دين محمد ﷺ أدهلهم مه خلقه، وطهره،  
وروعة ثانه، وبطولة صحبانه، وصدقه مع ربه، ومع نفسه، ومع اس ثم  
احترمه ابوثيق والعميق للعدل، ولحرية، وللحق، وللخير، ولحقوق الإنسان

\*\*\*

ولم يكن الشعر في "لامارتين" هو الذي صاع إعجابه المخط، وشهدته  
التألقه - بحسب - بل كان عقله يساق وحدانه نحو هذ الإعجاب، وهذا الانهار  
وكأى من عالم عربي. يعتمد في تكوين أحكامه على المنطق، والتحليل،  
والمنشئة، والمقارنة. يشك ليعرف.. ويتوقّف قبل أن يحكم - استطاع في صباه  
إحلاصه وصدقه، ونراهة عقله وفكره - أن يصل إلى نفس النتيجة التي تؤكد مدرة  
ابوجود المحمدى بين كل وجود وكل موجود.

هذا مثلاً 'روم لاندو' لذي عمل أستاذاً للدراسات الإسلامية  
والشمال - أفريقية، في جامعة المحيط الهادي بكاليفورنيا يقول في كتابه  
"الإسلام والعرب".

"كان 'محمد' ﷺ تقياً ومطهرة وكان من غير ريب مهياً لحمل رسالة  
الإصلاح التي تلقاها في رؤاه. وكان يمتد يده لا يلبس بفكرة الإله الواحد  
وعزماً راسخاً على استئصال كل أثر من آثار عبادة الأصنام التي كانت مسندة بين  
الوثنيين العرب.

كانت مهمته هائلة!!

وإنَّ الرُّعْم، لقائل بأن فترات تلقيه الوحي كانت ثوبت صرع زعم خبطي  
على نحو جلي ذلك لأن من يتعرض لهذه الثوبات، لا يمكن أن يكون مالمك وعيه  
ومسطقه إلى حد القدرة على التطق بمثل لمقاطع المعقدة والعميقة التي بطبع الكثير  
مها في القرن

إنَّ الإخلاص الذي تكشف عنه محمد في أداء رسالته، وما كان لاتباعه  
وأصحابه من إيمان كامل بما برز عليه من وحي، واحترار الأحيال والقرون. كل  
أولئك يجعل من غير المعقول اتهام محمد بأي ضرب من الخداع والتلفيق  
فلم يعرف التاريخ أي تلميح ديني معمد - حتى حين يكون صاحبه عصفراً  
في الدجل - استطاع أن يعمر طويلاً

ورب للإسلام لم يعمر حتى الآن ما يبيف على ألف وأربعمائة سنة. فحسب  
من إنه لا يزال يكسب في كل يوم أتباعاً جددًا.

\*\*\*

حين وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه "رحمة للعالمين" لم يكن هذا الوصف تحية  
من عبد الله به فحسب بل كان كذلك إرهاباً بما سيطر به من الشرية في كل



عصوده وأحيائها من حمد لا يطاول، ومحمد لا يصغر بهاؤه بما يحمل قلبه الكبير  
لباس من مرحلة، وبما يعدوهم به من نعمة الهدى وراة الحقيقة

وهكذا لم يكن الرسول ﷺ عظم أيام دون أيام ولا عصور دون عصور  
لأنه لم يكن دعية مرحلة بل داعية أمة ۱۱ ولقد عدت روافده وينابيعه - عمر  
لأحياء والمفروق - بكل طب وصادق وحميل من عذب لعل وحاصل العمل،  
وجلال السلوك ۱۱

من أجل ذلك، كان "الرجل" الذي تتألق فيه معالي الأمور وتتألق به ومعها  
القدوة الصالحة في كل عصر وجيل ۱۱

ومدحه محمد ﷺ وإلى يوم الناس هذا. ثم إلى الأبد وما بعد الأبد - إن كان  
للأبد بعد - يجد كل عصر فيه وفي دينه قدوته، وأسوته.. وآماله المرحومة  
وحلاصه المرقوب ۱۱ هو ذل أمام كل زمان وقائد موكب متساق من الناس  
والأيام ولأحلام وابدائ وبرؤى والقيم.. موكب لا يزدر بانتها

ولقد أدعى هذه الحقيقة وأداع بها - مصموم كثيرون من مفكرى أورب  
المنصفين.

وهذا واحد منهم يقول:

"بعد أظهر محمد عظمتة الحقيقية في أنه لم يكن رجل عصر بعينه بل رجل  
كل العصور وم يكن محمد حيا بل عكف على ترسيخ أسس المجتمع الذي  
رسمه لنفسه..

"كان رجل دولة لا نظير له ۱۱ فقد استطاع في عصر عمه التفسخ لدى لم  
يكن ثمة أمل في الشفاء منه وبالخامات الشرية التي وحدها بين يديه من  
حواريه وأصحابه أن يبني دولة ومجتمعاً على أسس علمية رائعة ۱۱"

هكذا صدع استشرق "مير" وصدق بهذه الشهادة الصادقة في كتابه  
 "حياة محمد" رغم ما كان يجرح به أحياء من مستنجات مغلوبة !!  
 إن شرف الحق وقداسته يرضان عني أولى الألبان والنهي الاحترام لهما،  
 والاعتراف بهما ربائل لمن ومن يحمل راية الحق، حانياً عليه ودعياً به  
 هكذا كان الرسول محمد ﷺ ولسوف يبقى، في الصدرة من هؤلاء الخائين  
 والداعين

\* \* \*

نرى من يكون هذا الرجل القد، والرسول العظيم وماذا كان سره لمعحر  
 والمهمس؟؟ أذاً من يكون؟؟ فسيأتي حديثه عما قليل . وأما سره الذي حثه إلى  
 الناس ورأته في قلوبهم - مكثيين ومؤميين راضين وكارهين ثمن هم معه،  
 وثمن هم عليه فأمر يهر الأبواب حقاً وتحار فيه لعقول!!  
 فمن الجاهلين الدين آسوانه، وأبغوا الثور لدى أنزل معه إلى أولئك  
 لمفكرين الكبار من أوروبا والعرب الذين لم يسلّموا معه وأسلموا واستسلموا،  
 سره الخليل، وعظمته المتفوقة، ومواهبه المتألّفة، بين أولئك وهؤلاء رؤيه مشتركة  
 لهذا السر، ولتلك لعظمة وهاتيك المواهب

وهي رؤية نرى مؤميين مناسكهم وأسوتهم ونرى غير المؤمنين، ذلك  
 الألو الإنساني الذي يعجز في أنفسهم لثيّه وخيلاء، إذ أنهم ينتمون لهذه الشريعة  
 الناقية لتي أحبب - فيمن أحببت - هذا الإنسان الممجّد والعظيم .

وليس إجلال لمفكرين الغربيين له أكثر دلالة من إحلال الدين عاصروه من  
 العرب، وتلقؤه مع كلمات الله، وحملوه معه راية القرآن والإسلام.  
 وليس السر الكامن وراء هذا الإحلال من كلا الفريقين إلا تفسيراً صادقاً

للعجب، لدى عملاً أفندتنا ويستجيش ألباناً نجاء بساطة وعظمة وتأثير هذا الرسول الأمين

ففى بيئته وقومه، وزمانه، حيث يقوم لرب العالمين، بين قوم لهم فى بعض الموهب والخصائص شُمُوح. وإنهم لعنيدون فى طلب الدُّلُس والرهان على كل دعوى رقصية متعاطمون حتَّى حين تغشاهم المسغبة ويُملِقون سادة لم يدُلُوا قطُّ لعارٍ ولا دحيل

فى هذه البيئة اللافتحة والمستعبدية، وبين هؤلاء الناس المتغطرسين انغلاقاً كيف فرصت شخصية الرسول ﷺ، احترامها وجلالها، حتَّى قبل أن يُبعث رسولاً بن حثَّى وهو شاب فى عمر أبناء بعضهم، وأحفاد لآخرين؟ ثم كيف أشرقت قلوبهم سور ربها بعد بعثته، وحلوا من الإيمان ما يبدُّ كل نظير؟!

دعونى أنقل من كتابى "رجال حور لرسول" هذه الكلمات والتساؤلات - ما الذى جعل سادة قومه يسارعون إلى كدماته وديمه - أبو بكر، وطلحة، والزبير، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أسى وقاص متحلّين بهذه السارعة المؤممة عن كل ما كان يحيطهم به قومهم من محذ وجه، مستغلين - فى ذات الوقت - حياة تُمرّ موراً شديداً بالأعواء وبالصُّراع...؟

ما الذى جعل ضعفاء قومه يلودون بحمه، ويُهرعون إلى رايته ودعوته وهم يصبرونه أعزل من المد، ومن السلاح يرل به الأذى ويطارده الشر فى تحد رهيب دون أن يملك له دفعا؟

- ما الذى جعل جبار الجاهلية - عمر بن الخطاب - وقد ذهب بيقطف

رأسه العظيم بسيفه يعود ليقطف بنفس السيف الذي زاده الإيمان مصاء  
رؤوس أعدائه ومصططهديه ؟

- ما الذى جعل صفوة رحل المدينة ووجهاها يمدون إليه ليسانعوه  
على أن يخوضوا معه البحر والهول، وهم يعلمون أن المعركة بينهم وبين  
قريش ستكون أكبر من الهول..؟

ما الذى جعل المزمير به يريدون ولا يقصون، وهو الذى يهتف  
فيهم صباح مساء

لا أملك لكم نضاً ولا ضراً، ولا أدري ما يفعل بى ولا بكم ؟

ما الذى جعلهم يصدقون أن يدب ستمح عليهم أقطارهم . وأن  
أقدامهم مستحوص حوضاً فى دهب لعالم وتمشى فوق تيجانه . وأن هذا  
القرآن الذى يتلونه فى استحشاء ستر دده ، لآفق عالى الصّدح قوى الرأس ..  
لا فى حيلهم فحسب . ولا فى حريرتهم وحسب . بل عر حبح لرمان  
وجميع المكان.

أحسن .. ما الذى جعلهم يصدقون هذه لبوءة بحدّتهم به رسولهم  
ﷺ، وهم الذين يتلفنون فلا يجدون أسامهم وحلفهم، وعن أيمانهم وعن  
شمالهم سوى القيط والسعب وحجارة تدقّ فيجّ الحميم، وشحيرات  
يابسة طلعتها كأنه رؤوس الشياطين..؟

- ما الذى ملأ قلوبهم يقيناً وعزماً ؟

نه بن عبد الله !!

ومن لكل هذا سواء؟!

لقد رأوا رأي العين كل فضائله ومزاياه.

رأوا طهره، وعفته، وأمانته، واستقامته، وشجاعته.

رأوا سمره وحسنه . رأوا عقله وبيانَه . رأوا الشمس تتألق تألق صدقه وعظمة نفسه.

سمعوا بمو الحياة بسرى فى أوصال الحياة عندما بدأ محمد ﷺ يفيض عليها من وحي يومه وتأملات أمسه . !

رأوا كل هدى ، وأصعاف هذا، لا من وراء قناع بن مواجعة وتمرُّس، وبصرًا وبصيرة.

وحين يرى عربى تلك لعصور شتًا ويفحصه فلا يثبت أنشد مثل خير فهم أهل "الفيافة والعيافة" يرى أحدهم وقع الأقدام على الطريق فيقول لك: هذه قدم فلان بن فلان...!!

ويشم أنفاس محدثه فيدرك ما تحت حوائجه من صدق أو بهتان

هؤلاء رأوا محمدًا ﷺ وعصروه منذ أهل على لوحود ولیداً

لم تحف عليهم من حياته خافية

كل رؤاه، كل خطاه، كل كلماته، كل حركته، من كل أحلامه وأمايه وحاطرات نفسه كانت من أول يوم أهل فيه على الدنيا حق للناس جميعاً  
لكأن الله تعالى أراد بهذا أن يقول للناس هذا رسول إليكم - وسيسيته  
لمطلق واسحق - وهذه حياته كلها مذ كان جنيناً

فكل م معكم من مطلق وعقل، انحصوها وحكموها هل ترون فيها شبهة...؟ هل تبصرون زيفاً ؟ هل كذب مرّة؟ هل خان مرّة؟.. هل هبط مرّة؟ هل ظلم إنسان ؟ هل كشف عورة ؟ هل خسر ذمة ؟ هل قطع

رجل ؟ هل أهمل نعمة ؟ هل تحلى عن مروءة وخدمة .  
هل شتم أحداً ؟ هل استقبل صمًا ؟

\* \* \*

كما يقول "كارليل"

"كان ظهور محمد ﷺ في الحياة ولادة من الظلمة إلى النور ."

كان قومه على شفا حمرة من النار، فأبغضهم فيها ولا يزال، وسيطن مقتل  
لكل الواقفين على شفا الحمرة - واستأثرين - هي عمى - نحو مهاوى الخطر ! وإن  
الكلمات المصيبة والحريث والمصنة انتهى واحه بها قومه في الساعات الأولى من  
بعثه سيظل يوحىها إلى العالم في شتى عصوره ودهوره وأحياله

وهذا ما يجعله "رجل كل العصور" !!..

وعدم أنساه الله سبحانه أن وقته قد حان . وأن دوره قد جاء ليبلغ رسالته  
وبدورته ويشارته بادئ بعثيته لأقربين - صعد الصفا، وبدى يا معشر قريش

وراح انقرشبون يعدون، ويقطعون الأرض وثنا نحو الأميين !!

وتحلقوا حوله، وعيونهم تتلطف، وأذانهم تُعطى السمع في سكوت

وأشار محمد ﷺ بيمينه - برك الله بيمينه - وقال :

"أرايتم لو أخرجتكم إلى حيلابوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم  
مُصدّقين ؟"

قلوا في صوت واحد نعم واللات بما حرث عليث كبتا !!

قال فرب الله قد أرسلني إليكم، لبعثوه ولا تشركوا به شيئاً وإني سدير  
لكم بين يدي عذاب شديد"

وتعشى وجوه أكثرهم تجهّم ووجوم. ولووا أعناقهم التى بدت وكأهب  
تحمّل الأبيار المعرضة فى أعناق النقرات وأثيران!!  
لكهم لادوا بصمت ولم تفتح بدايئهم عليهم بكلام.  
وفجأة. انعت أشقاها ومن أسير أن كان هذا الشقي عمّه أبا لهب، الذى  
قال. تبا لك.. ألمدا جمعتنا؟؟

\* \* \*

إن محمداً ﷺ..

إن "رحل كل اعصور" لا يزال هناك قائماً فوق الصفا أو فوق البطحاء  
يبدأى الناس أنه مديّر لهم بين يدي عذاب شديد يدعوهم إلى الخير، ويأديهم إلى  
الحقيقة. ويدلّهم إلى حالقهم ربهم ورب كل شيء!!

إنه يرسل فى الجموع من كلّ جيل سناً مبادئه وصدقه وكلماته الوصاء !!  
ويبدأى الذين تفصّموا عن حقائق الدين - كل دين إلى الحقيقة التى لا  
انصمام لها

ولكلّ من تلك لجموع والأحبال "أنو هبها" يشعب بعنث القل وأردله،  
ويقول لصوت الصادح - الحق - تبا لك سائر يومك أهد، جمعت!!

أحسن إن محمداً ﷺ ها وهناك إنه معنا ومع الآخرين مع البشرية كلها منذ  
اصطفاه ربّه ليكون للعالمين نذيراً  
إنه "رحل كل اعصور"

منقدها، وهاديهها، وعظم أعلاها وسلاسلها ومطوق أرواح سيها من الأسر،  
وواضح الإصر عنها.

ومذ قال الله تعالى له.

﴿ فَاسْتَنْفِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ضَمُّوا فَتَمْسِكُمْ لَلْأَزْمَ لَكُمْ مِنَ دُونِ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ۝ وَأَقِمِ الصُّلَّةَ طَرَفِ النَّهَارِ وَرُفَاً مِنَ اللَّيْلِ ۝ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذِكْرُكَ ذَكَرَى لِلَّذِينَ كَرِهُوا ۝ وَصَبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾

سورة هود ١١٢-١١٥

مذ تنقّى من الحكيم الخبير هذه الآيات المباركات من القرآن العظيم وهو يعلم أن أول عاصر الاستقامة كما أمر وعنى ما أمر ألا يكفأ - ومن تاب معه - عن توحيه النداء إلى لاس، وتذكيرهم بآيم الله، ودعوة لطرحين في الأماكن البعيدة، والمتاهات السحيقة إلى عام القرب من الله وإلى انور الديو لا يطفئ، والصحة التي لا تصل والهدى الذي لا يزيع

ولقد أدرك تمام لماذا أتبع الله أمره له بالاستقامة على الأمر، والعزيمة على الرشد بقوله سبحانه ﴿ وَلَا تَطْغَوْا ۝ ﴾

ذلك وأنه رحمة الله للعالمين وأنه رحل كثر العصور وبيها ومعلمها، لابد أن تكون الوسوسة عنده في طهر العانة وسها في جهاف وحلاها. فيكون مقامه دوماً مقام من يدعو جُموعاً لا من يسوق قطيعاً !

وكيف بوجه تعاليمه وقيمته وعقله وقلبه وهداه ونهاه إلى اسشر أجمعين إدام تكرر الدعوة والحكمة والموعظة الحسنة بهجه وسيله ٩٩



وهل كان ان الفكر الأوروبي المنصف في القرن العشرين سيرى فيه "رحل كل العصور" بو كست قوة بعصلات، هي وسينته إلى حمل الناس على ما يرحوهم من نعمة وما يشتر به من مادي العدل، والإحياء والرحمة ٢٢

وهل رأينا، أو سمع أحدًا يصف الإسكندر، أو حنكيز خان، أو يوليوس قيصر، أو نابليون، أو هتلر، بأنه "رحل كل العصور" ٢٢..  
ما كان ذلك ليكون..

فالقوة لحاشمة لا يمكن لها بحال أن تهب الدب "رحل لعصور"، بل ولا رحل عصر واحد إنما تقدر العظمة وحدها على ذلك عظمة الشخص وعظمة المبدئ وعظمة الغيات وقلها عظمة الوسائل !! وكديكم كن لإنسان العطر، والفريد الذي حتم الله به رسله وأنبياءه

الرحمة المهداة ..

المشتر، والذير..

والسراج المنير .

ورحل كل العصور..!!





## الفصل الثالث

البشرىات بين يديه



لأنه رسول رب العالمين، ولأنه المذخر والمذخور، ليختم الله به رساله  
ورسالاته، ودينه، فقد كان لابد أن تقدمه بمستقبل النبوءات الصادقة وتُمهّد له  
المبشرات المتألقة !!

ولقد حكى القرآن الكريم طرقاً من تلك النبوءات وذلك حين قال:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي  
تَجَدَّدَتْهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ  
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ  
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْفَاحِشَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْصَارَ الَّتِي  
كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَبَصُرُوا  
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

"سورة أعراف: ١٥٧"

كما نقل إيب ما قاله "المسيح" عليه صلاة الله وسلامه بقومه:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَسْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ  
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا  
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾

"سورة الصف: ٦"

كذلك حدثنا القرآن الصدوق الحكيم عن الموثق الذي أحده الله على أنبيائه.. وهو بالتالي ملزم للأمم أولئك الأنبياء  
تلك الأمم التي تشهد بعثة سيد "محمد" عليه لصلاة والسلام وما هو  
ذا الموثق العظيم

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَانَيْتُكُمْ مِنْ  
كُتُبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ  
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ  
إِبْرَئِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَشَهِدُوا ۚ وَأَتَىٰ مَعَكُمْ مِنْ  
الشَّاهِدِينَ ﴾

"سورة آل عمران ٨١"

واضح من تلك الآيات الكريمة، أن ثمة "سوء" صادقة و "مشراب"  
واقعة!!

وواضح كذلك أن الدين اشتركوا في سب هبده السوءات من الأنبياء  
 والمرسلين - عليهم السلام - قد تركوا لأتباعهم في كل العصور والأجيال وصلة  
حالدة، بأن يتبعوا هذا الرسول الكريم انقاداً، إذ هم شهدوا معثته سواء منهم  
الذين سيعاصرونه، أو الذين سيجيئون بعد عصره إلى أن يرث "الله" الأرض  
ومن عليها..

ولقد اقتضى ذلك أن تكون جميع القنرات مفتحة وموصولة بين الرسول  
وبين من سيقوه من إخوانه - عليهم أفضل الصلاة وأرکى السلام

وهكذا وحب الإسلام يرفص كل إيمان به ورسوله ما لم ينتظم الإيمان  
بكافة الأنبياء السابقين، وبالكتب والأديان السماوية لسابقة، والمنزلة من لدن

حكيم عليم!

وفي الآيات، الأوليات من القرآن العظيم نعتُ الله سبحانه وتعالى عباده  
المؤمنين بأنهم

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُعْشِقُونَ - وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ  
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾

"سورة البقرة ٤، ٣"

كذلك يدعوهم عز وجل إلى أن يحملوا في أفئدتهم إيماناً صديقاً، وولاءاً  
مطلقاً هذه القضية

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ  
وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ  
مِّنْهُمْ وَنَحْنُ بِهِمْ مُّسَبِّحُونَ ﴾

"سورة البقرة ١٣٦"

هناك - إذن - اعتراف مُّتبادل بين الرسول "محمد" ﷺ وبين إحقاقه السابقين  
وبين الإسلام وما سلف من شرائع أو "أديان" ..

وهناك - كذلك - عهد مُّشترك بين جميع الأمم والشعوب انتهى احتضنها الله  
برحمته، حين أرسل فيهم وإليهم من يركبهم، ويهديهم إلى صراط الله العلى الحميد  
من الأنبياء والمرسلين ..

ولقد فارت "الامة المسماة" في كل عصورها وأجيالها شرف الحفاظ على

هذا العهد، والوفاء به، والولاء له..

فلا تجد "مسدماً" واحداً، خلال لأربعة عشر قرناً لتي عدتها لإسلام مد  
أهل وبرزغ

ولر تجد "مسلمًا" واحداً فيما سيأتي من قرون وأرمه، وأحيال، يكمر  
برسول واحد من المرسلين السابقين أو يكفر بكتاب مُرّن واحد من كتب  
لسماوية التي بقيت بلا ترئد أو تحريف ما دام قد آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً،  
وبمحمد ﷺ رسولاً..

وحي أسأل عن أعظم خصائص الإسلام، أحيب إنها "عالمية" !!  
فهو "عالمى" النعمة، والاتجاه، والمنهج..  
شهد له بذلك ربه ومُنزله حين نادى رسوله

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

'سورة يونس ١٠٧'

وحي حمله مسئولية شُموں الدعوة، وعالمية البلاغ، قال

﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُتُبُ مِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

'سورة الأعراف: ١٥٨'

وبينما قال ربنا سبحانه عن الرسل السابقين:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾

'سورة الممل ٢٦'

تجد يقول للرسول "محمد" عليه الصلاة والسلام

﴿وَأَرْسَلْنَاكَ بِرِسَالِ رَسُولٍ﴾

'سورة النساء ٦٩'



وحيث يحدث الله في كتبه الكريم عن الأمم ومُرسلاتها قل

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾

"سورة طه ٢٢"

وعند مصدق لما سبق أن ذكرنا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام

"ما من نبي إلا نعت لقومه خاصة إلا أنا.. بعثت إلى  
الأبيض، والأحمر، والأسود."

وكثيراً ما كن - عليه الصلاة والسلام - يقول "أنا دعوة أبي إبراهيم"  
مشرّاً بهذا إلى موقف الخليل حين فرغ ومعه ابنه "إسماعيل" عليهم السلام -  
من بناء الكعبة، إذ اتجه إلى الله في صراحة وثقة، تقيّة، ودع

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ  
وَيُعِيمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾

"سورة نوح ١٧٩"

والقصود ذرية إسماعيل

ولقد تقبل الله صراسته واستجاب دعاءه. وسارع إليه بشراه إنّه - سبحانه -  
قد سمع وأجاب! كما سارع له بما أخذ على نفسه - حلّ حلاله - من عهد أن  
يحقق لخليله "سيدنا إبراهيم" ما يرجو ويتمنى..

و "العهد القديم" من الكتاب المقدس، هو الذي يقلّ بين هذه الوعد،  
وذلك العهد في هذه الفقرة من مزمور التكوين

"وقال الرب لإبراهيم - يعني إبراهيم - اذهب من أرضك

ومن عشيرتك، ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريدك،  
فأجعلك أمة عظيمة.. وأبارك، وأعظم اسمك، وتكون  
بركة، وأبارك مباركك ولاعنك ألعنه. وتبارك فيك  
جميع قبائل الأرض" ١٨

سفر التكوين - لإصحاح الثاني عشر ٢،٣

من هي قبائل الأرض واقاربها الذين تُورك بينهم "سيد إبراهيم" عليه  
السلام ٢٢٠؟

من - غير المسلمين - يُصنون عليه ويسلمون، ويباركون اسمه ويذكرونه في كل  
صلواتهم أثناء الليل، وأطراف النهار، قائلين:

"اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت  
على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

"وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت  
على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" ١٩

إن "السُّوءة" التي أسلمناها، والمنقولة عن سفر من أسفار التوراة، هو "سفر  
التكوين" لتصلب سوءات أخر، رحررت بها التوراة، والإنجيل، حتى في السح  
القائمة اليوم

ولقد تتبع طرفاً من هذه السوءات، وتناولها بتعليقه لدى المصيء،  
الفيلسوف الهندي لمسلم "مولان محمد عدي" في كتابه القيم. "حبة محمد،  
ورسالته" ترجمة الأستاذ "مير لعلكي" وإله ليسعدي، ويسعد القراء معي أن  
نصحه في حديثه هذا

"إن الكتب السماوية كلها تشتمل على سوءات عن محيى الرسول وإله

ليبدو أن العناية الإلهية شاءت أن تصهر الشرائع الدينية المحتملة في عقد واحد، ينتظمها كلها. وذلك كي تصهر، لإساسة في أخوة كونية، فأرسلت - أي العناية الإلهية - نبيا ورسولا يحمل رسالة إلى الجنس لشري كله .

ولقد احتفظ العهد القديم والعهد الجديد - هذان الكتابان المقدسان - على نحو سليم بعدد من النبوءات عن مجيء الرسول "محمد" عليه صلاة الله وسلامه ففي سفر التكوين يقول الله لخليله إبراهيم

"وأما إسماعيل، فقد سمعتُ لك فيه هأنذا،  
أباركه، وأثمره، وأكثره كثيرا جدا.. اثني عشر رئيسا  
يلد، وأحمله أمة كبيرة"

سفر التكوين لإصحاح السابع عشر ٢٠

فها أعطى الوعد الخاص بإسماعيل وذرته بالطريقة نفسها، لى أعطى  
الوعد الخاص إبراهيم وذرته..

ثم هك نبوءة أخرى من خلال الوعد الذي وعد الله إبراهيم إياه ها هو ذا

"وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك في  
أجيالهم عهدا أبديا، لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك  
وأعطي لك، ولنسلك من بعدك أرض غريتك كل أرض  
كنعان ملكا أبديا لك. وأكون إلههم"

سفر التكوين لإصحاح ١٧ ٧،٨

وهذه علامة منظورة، ثريا من هم الآن "لورثة الحقيقيون" لوعده الإلهي  
لإبراهيم عليه السلام

من الحقائق التاريخية أنه ما إن جاء لرسول "محمد" حتى دخلت "أرض

ليعد " في حيرة المسلمين الذين بسطوا سلطانهم عليها طوال القرون " الأربعة عشر الماضية " ولقد كان الغرض الأساسي لدخروب الصليبية انتزاع " أرض الميعاد " هذه من أيدي المسلمين ولا ريب في أنها ضاعت من أيدي المسلمين مؤقتاً " بعض الوقت " ولكنها سرعان ما أعيدت بعد فترة وجيزة وإذا كان قد قُدِّرَ له أن تصيب منهم فيما بعد فلن يستمر ذلك طويلاً وفاء بالوعد الذي وُعدَّ إبراهيم .

أما النبوءة التالية المعلنة بحىء الرسول الكريم " محمد " فقد جاءت على لسان " موسى " عليه السلام

أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به "

سفر تبة الاشرع ، الإصحاح ١٨ ١٨

وهذا واضح وصوح الشمس في رائعة النهار ! فإن أيما من الأسياء لإسرائيليين الذين جاءوا بعد " موسى " في تعاقب مُتطاول ، حتى بحىء " يسوع " لم يدع أنه السى الموعود بهذه السوءه . ولأسباب جلية لم يكن في مسور حلقاء " موسى " عليه السلام أن يكونوا مثله ، لأنهم ما جاءوا إلا لتنفيذ شريعته لس غير وكان أمر " النبوءة " معروفاً لدى الخاصة والعامة من اليهود الذين انتظروا جيلاً بعد جيل ، فظهر ربي مثل " موسى " ويؤيد هذا تأكيداً ذلك الحديث الذي دار بين " يوحنا المعمدان " ، وأولئك الذين وعدوا عليه لبأوه كما يروى سفر يوحنا .

" من أنت ؟ "

" المسيح أنت ؟ "

"قال: لست أنا..

"إيليا أنت..

"قال: لست أنا

"ذلك النبي أنت؟

"فأجاب: لا..!!

سفر يوحنا الإصحاح الأول ١٩، ٢٠، ٢١

وهذا يظهر في يقين أن اليهود كانوا يترقبون ظهور ثلاثة أنبياء مختلفين أوهم "إيليا" الذي اعتقدوا أنه سيظهر بشخصيته مرة أخرى وذيهم "المسيح" وثالثهم "نبي" ذو شهرة عظيمة إلى درجة رأوا معها أنه من غير الضرورة بعثه بأي وصف مُميز! لقد كان قولهم: "دبت النسي" كافياً للدلالة على من يعنون وهكذا كان لدى الشيوع والديوع المسلمين حطمت بهما - نبي يهود - نبوة "موسى" فيما يتصل في ظهور نبي مثله

ولقد تحققت هذه السوءات في شخصي "يسوع ويوحنا" فقد أعلن أوهما أنه "المسيح" وأعلن ثانيهما أنه نُبعث في روح "إيليا" ولم يدع أحد منهما أنه النبي الموعود المماثل لموسى بل ولم يعترهما أحد من أنبيي أمموا بهما - ذلك النبي الموعود..!!

وهكذا طُلّت نبوة سفر "تثنية لاشرع" حول نبي مثل موسى "غير محفقة بقدر ما يتعلق الأمر بالإسرائيليين

ورداً فلما صفحات تاريخ العالم لم يجد أي نبي غير "محمد" عليه الصلاة والسلام أعلن أنه نبي الذي تبعاً "موسى" بظهوره .

والواقع تؤيد هذا لتفسير، فقد كان "موسى" صاحب شريعة وكذلك

كان "محمد" صلوات الله وسلامه عليهما وليس بين الأنساء لإسرائيليين الذين حلفوا "موسى" بى واحد جاء شريعة حديده.. ومن هه، كان لرسول الكريم "محمد" بوصفه النبى الوحيد الذى أعطى الناس شريعة، هو وحده المماثل لموسى يُصدق هذا لقول الله سبحانه فى قرآنه الكريم

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴾

"سورة الممل ١٥"

إن عبارة "أقيم لهم رسولاً من بين إخوانهم" لتى جاءت على لسان موسى عليه السلام، تلتقى صوءاً جديداً على هذه الخميعة إذ معنى ذلك أن السى الموعود لن يحىء من بين الإسرائيليين أنفسهم. بل من بين "إخوانهم" من ذرية "إسماعيل".

وهكذا، فإن نبوءة "تشية الاشرع" السالمة، تُشير بما لا يحتمل، إلى لرسول الكريم محمد ﷺ الذى وجدت فيه مصداقها. 111. وثمة ثوءة أخرى، تقع عليها فى تعبيرات لا تقل وضوحاً وجلالاً وهى موجودة فى نفس السفر "تشية الاشرع" حيث يقول

"جاء الرب من سباء وأشرق لهم من شاعير. وبالألأ من حل هارن.. وأتى من ربوات القدس.."

والحىء من "سباء" يشير إلى ظهور "موسى" .. والإنسان من 'ربوات القدس' يشير إلى ظهور "يسوع"، إذ تلقى هذين اسماء الداء الإلهى فى هذين الموضعين. أما 'فردان' فمن المسلم به أنها الاسم القديم لأرض "الحجاز حيث ظهر "محمد" عيه الصلاة والسلام من بين جمعة "إسماعيل" 1

وليس ذلك فحسب بل إن ثمة نبوءة رابعة، نصص صراحة على أن أرض  
النبي الموعود، هي بلاد العرب،  
إذ يقول "سفر أشعيا"

"وحى من جهة بلاد العرب فى الوعر من بلاد العرب  
تبيين يا قوافل الددانيين..

هانوا ماء للملاقاة العطشان، يا سُكَّان أرض تيماء،  
وافوا الهارب بنخبره، فإنهم من أمام السيوف قد  
هربوا.. من أمام السيف المسلول، ومن أمام نفوس  
المشدود، ومن أمام شدة الحرب"

سفر إشعيا الإصحاح ٢١، ١٥، ١٤، ١٣

"إن لفظة بلاد العرب قبل كل شيء ذات معنى كفى ثم إن الإشارة  
إلى من هاجر، تُلقى ضوءاً جديداً على المقصود بالنبوءة، فتاريخ العام لم يُدوّن غير  
هجرة واحدة قُدِّر لها أن تكتسب أهمية الحدث الحاسم وهي هجرة الرسول من  
مكة إلى المدينة حيث بدأ التهويم الإسلامى، رحيث استهل فصل جديد فى  
تاريخ الإسلام..

أو على الأصح فى حصره العالم كله !!

وعبثاً تُقلب صفحات لتاريخ التماساً هجرة أخرى، تمحصت عن نتائج فى  
مثل هذه لخطورة، وتُعد الأثر فإذا أصفنا إلى هذا نص نبوءة الصريح على  
"بلاد العرب" بوصفها مسقطاً لرأس السى الموعود، لوقف أمام دليل لا مراء فيه  
على أن نبوءة المذكورة تشير إلى الرسول "محمد" ﷺ !

وهناك نبوءات أخرى كثيرة أطلقها الأنبياء اليهود مثل "داود، وسليمان،





صحيح إذا أن للسوء بقية يقول فيها "السيد يسوع" أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتاكم "المعري".  
والعهد الجديد يذكر أن "يوحنا" كان مُعمِّمًا بروح القدس، ويذكر أن "المسيح" تلقى الروح القدس على شكل حمامة

وإذن، فمن تشير هذه الكلمات إن لم أنطلق لا يأتاكم المعري؟؟

إنها قطعاً لا تشير إلى "الروح القدس" إذ من التعذيب أو يكاد، الذهاب إلى أن "يسوع" لم يكن مُروِّدًا بروح القدس!!

"ولا ريب في أن كلمتي "روح القدس" اللتين وردتا في السوء، إنما أريتا بهما أن تشير إلى أن النبي لمسطر والموعود سيكون معاً مع "روح المقدسة" وقول السوء عن الرسول القدام "سمكت معكم إلى الأبد" يدل على أنه لن يكون بعد النبي الموعود بنى آخر جديد!!

وهذا هو ما يقوله القرآن الكريم عن "الرسول محمد"

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ  
وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

"سورة الأحراب ١٤٠"

وهذا أيضاً ما يقوله "القرآن الكريم" عن رسالة "النبي محمد" عليه صلاة ربنا وسلامه

﴿ لَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي  
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾

"سورة مائدة ٣"

ثم إن النبي الموعود تصفه النبوة بأنه "روح الحق" والقرآن المنزل على "محمد" ﷺ يركبه بقوله الكريم: ﴿وَقَدْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ وهكذا، فإن دعوات "إبراهيم، وإسماعيل" ونبوءات "موسى وعيسى" وغيرهما، قد تحققت في شخص الرسول الكريم 'محمد' عليه الصلاة والسلام إلى أبد الأبدين !!

إذن لم تكن شهادات الكبار من مكبرى أوروبا في القرنين الأخيرين، الشهادات لى سقفا فى فصلٍ سابقٍ طرفاً منها أقول، إنها لم تكن وحدها الإشارات الصوتية على طريق الدين عرفوا، والدين سيعرفون عظمة رسول كريم، وعظمة دينه ورسالته ودعوته!

بل كانت هناك، قبل قرونٍ مديدة وكثيرة أصواتٌ حق، رددت صدق تهتف بهذا انبى، البشير، والندير، والسراج الميرئى أيامه، وترفع أعلامه !  
كانت هناك دعوات "إبراهيم وإسماعيل" ونبوءاتهم، وكانت هناك نبوءات "موسى وعيسى" .. وهى جميعاً تلقوها عن الله الذى يصطفى من رسله من يشاء

هى - إذن - كلمات الله فهل وعاه وحفظها وامثلها، أتباع الرسولين الكريمين؟؟ أم ارتأوا، فهم فى ربهم يترددون؟؟

الإن "المسيح عيسى بن مريم - عليهم السلام - لى ادى هؤلاء وأولئك.  
"طوبى للذين يسمعون كلام الله، ويحفظونه" !!



## الفصل الرابع

الرجل الحائمه في القفل



درب يوم، وهو نائم تحت ظل شجرة وحيدة ویتيمة أقبيل عسه أصفان من لداته وأترابه، يدعوه بعد أن أيقطوه من مرقده إلى المسير معهم لتتفرح على راسه هداك في شارع من شوارع مكة يُغنى على مزماره غناء يطرب له الولدان، وبدلاً من أن يهش انطمل لسا السعد، والدعوه المنهجة، هز رأسه في ساء وإعراس، وقال لهم: "أنا لم أخلق لهذا"!!

ولعل إجاته هذه كانت نتيجة تجربة سالفة له هداك لبله أو دات يوم ذهب سعى إلى سامر، فيه الناس يسْمرون. لكنه لم يكذب يلعنه ويأخذ مكانه بين المتحلقين، حتى راح في يوم عميق، استيقظ منه بعد حين ليحد المكار لدى كان غاصاً ومكظاً قد حلا من رواده، والسُّمار قد رحدوا واب إلى دار عمه دون أن يسمع ما سمع لأحرون من زمر وطو!!

تُرى هل طوُف "الطفل" بنحو طره حول هذا الذي حدث له؟ وهل ستتج منه أمراً؟

وهل كان المحسب الذي ألتصع في خاطره، ثاوياً أمام موقعه الرافض برعة أترابه، ووراء اعتداده الرفيق الذي عبّر عنه بكلماته التي كانت "رجلاً" وذلك حين قل: "أنا لم أخلق لهذا"؟! يبدو أن ذلك كان كذلك

فستبقى به، بعد أن اختاره الله رسولا، يسدعي من دكریات طفولته ديت المشهد الأول، بن ويُفسّره بأن الله سبحانه هو الذي ألقى عليه رسوم، حتى لا

يقتحم سمعه ما كان ثمة من عداء ماجر أو رمر لاه لم تُخلق به أدياء، كانتا على موعد مع صوت آخر، وكلمات آخر، سيتزل بها من لادن حكيم عليم شبح ملائكة "جبريل الأمين" عليه السلام..!!

تحت إحساس عجب، وبادر الطير، قال الطفل المارك كلماته المرهضة والمصاة نور غيب لا يعرفه ولا يراه وإن كان يُحسه على نحو حلي قدس كلمته المشرقة بنور ربها: "ألم أخلق لهذا"؟؟..  
وقس هذه الطهوية كن ميلاد

ولن نقف طويلاً أمام ما نقته الأسماء - وري الأساطير أيضاً - عن الخوارق التي صاحبت مولده فقد حرت عادة للناس، ولا سيما رُواة أخبار العظماء من البشر أن يملأوا الفراغ المحيط بمهد الوليد بالكثير انكاثر من الخوارق والحدائث، ظائف أنهم بهذا يرفعون من قدر هذا العظيم أو ذلك وأنهم بهذا يُوثقونه مكاناً عليّ مكان الذي لم يجيء كبقية الناس، بل جاء في موكب حافل من مقادير الله الذي اختاره على علم واجتهاد واصطفاه..

وأمام "محمد بن عبد الله" لا نجد إنساناً تحتاج عظمته إلى التماس حوارق تُزكّيها

فقداء، حين تكرر شخصية "لطفل" وتسمو وينسلم من يمين الله - وكث يديه يمين - رايه ابرسانه والدعوه، سجد آند، أن معجزة "محمد" ﷺ بعد انفراد هي "محمد ذاته" !!

وإذن، فلا حاجة به إلى غُطور نُصمَّخ بها ميلاده فهو نفسه العطر، وهو العير أطيب العير..!

بيد أن هناك حدثاً حليلاً قد رامن مولده - وهو حدير أن يُحسب في عدد الخوارق من غير تكلف أو اعتساف ونحن نذكره، ونقصي معه بعض ابوقت، لا

لشيء، لأنَّه ارتبط بحياة هذا الوليد بسرك - حتى لقد صار تاريخ مولده مقترناً  
بذلك الحدث - فيقول التاريخ دائماً: "إنه وُلِدَ عام الفيل"  
ولعدم لفيل قصة تُروى، وعبرها - تاريخاً - صدقاً، وليست أسطورة  
تحققها الخيال

و لواقعة - كما يروونها "ابن هشام" تلخص في أن "أرهة، الأشرم" الذي  
كان وثيقاً على أيمن لجاشي الحشيشة أراد أن يصرف الناس عن الكعبة، فبنى  
كيسة في أجمل رية، وأروع معمار، ثم كتب إلى "سحاشي" يقول له: إني قد  
بنيت لله أيها الملك كيسة، م يُسْئِرُ مثبها لملك قبست، وستُ بُمُتْهِ حتى  
أصرف إليها جميع العرب !!

وترمت أسماء هذه كيسة، وكتب أبرهة إلى سحاشي، هذا انكتب اندي  
فصح بوا أبرهة الحبيثة والصدية تراست هذه، لأناء إلى لعرب في "مكة".  
وأمرُّ واحد من أهله أمراً ورحل إلى "صنعاء" ليُصْصِي ما أمرُّ، ويُحْزِم ما  
بوى !!

وددت يوم، دخل راعي الكيسة التي بُنيت من الرحام المحرَّع، والحصارة  
المفوشة بالذهب دخل كيسة أبرهة هذه فإداسحراه بتلاان برائحه كرية إلى  
حد لا يُطاق

ولا بد أنه أعلق معجربه تماماً، حين راح يُحول في رحاب الكيسة حدثاً عن  
مصدر هذه الرائحة الخبيثة، وأحيراً وحده  
وصرب صدره بيده، وهو يقول لقد فعنها المكى، اللعين الذي تركته بيت  
هن الليلة، رافة به وإشفاق عليه ..

وم يشأ أن يربل الحث المكتوم حتى يُطلع "أرهة" على هذا الحدث !!  
و حين علم أبرهة أن لما عل رجس من عرب مكة جاء ليقدّم إليه هذه

الهدية المتواضعة "!!" جرء وفاق على نوابه عدوانية تجاه الكعبة، وتجاه بيت الله  
احرام

حين علم بهدد، قرر في لحظة عصب وسفاهة أن يعزو "مكة" ويهدم كعبتها  
وبيتها الحرام!!

وفي طريقه وجيشه معه إلى مكة خرجت به قبائل من العرب، كانت تقيم  
بأرض حثعم، سترده عن الكعبة و لست الحرم، فهرمهم، وأسر شيوخها وعائلتها  
وعند وصوله الطائف خرج له رجال "ثقيف" وعانقوه لقتل. لكنه  
هرمهم، وانطلق كإعصار نحو "مكة". وعند مشارفها أرسل معوئاً حمداً رساله  
إلى سيد البلد وشريفها، يخبره فيها أنه لم يأت حرب الدس إنما جاء مدم هذا  
البيت. وليس به حاجة إلى ذمائم إذا لم يعرضوا به بحرب!!

وكان قد سبق رسوله هدد، جماعة من فرسان جيشه حيث انتهوا ما وجدوا  
من مال وإبل. أصابوا فيها مائتي بعير لسيد فريش "عند المصطب من حثعم"  
الذي دعاه أبرهة للقاءه

ولم يكذب يراه حتى أحله، وأعظمه، وأكرمه وسأله عن طريق ترجمانه أن  
يطلب ما يشاء!!

وأحاب سيد فريش عن حاجته أن يرث المثلث للناس ما انتهه حدوده، ومنه  
مائتا بعير له

وحين رأى دهش "أبرهة" من اهتمامه بإبل الآخرين، دون أن يذكر  
ليست الحرم بكعبة، أظلم دمهشت هذه بكساته الماثورة "أما الأس، فهي لي وأما  
البيت، فله رب يجمعه ويجمعه"!!

ورجع "عند المصطب" إلى قومه، دعياً إليهم أن يخرجوا من "مكة" وأن  
يتحرروا في شمع الحبل والشعاب ثم مضى إلى الكعبة وأمسك بحلقه ربه.



وراح ينادى ويسأجى ربه الذى كان "الحُماء" يشرون به ويهخرون الأصنام إليه،  
ويقول

لا همَّ إن العبد يمنع	رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب	وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم	ومحالهم أندًا معالك
إن كنت تاركهم وقتلتا	فأمر ما بدالك

قل ذلك "عند انطلق" سيد قريش، وجد "محمد" ﷺ الذى ستشهد هذه  
الأيام ميلاده. ثم انطلق ومن معه من قريش إلى شعب الجبال فتحرّروا فيها،  
ومستظرين أمر الله فيهم وفى بيته الحرام، وفى هذا الغزى اعبيد والأثيم !!  
كان يتقدم جيش أبرهة فيل ضخمة يُثير الرعب والصرع فى الأنفس  
والعرصات .

وما بث الفيل أن ترك فى هجر وحشوع، وراحوا يصرونه فى عُف نكى  
يهصر غابى وأدخلوا المحار فى مرقة وأسفل بطنه وهو بأبى !! ثم أداروا  
رأسه صوب اليمن فقام يُهرول.. ووحوه دحية نسم ويطلق مهرولاً ثم ناحبه  
المشرق فكان أسرع هروية. ثم عادوا به صوب البيت الحرام فترك وأحلد إلى  
الأرض وكأما شُدت قوائمه إنها سلاسل مؤثقة غلاط

وعجاة ملأ الفضاء فوق رؤوسهم بأفواح من طير أنابيل ترميهم بحجارة من  
سحيل.. لا نصيب منهم أحداً إلا هلك، وسقط صريعاً فوق التراب والرمال !!  
وولوا هاربين يتدرون الطريق التى جاءوا منها.

وامامهم قائدهم اتعس - أبرهة - الأشرم - الذى لم يك يبلغ "صنعاء" حتى  
بقي بعد أيام

كانت المحبرة في مثل حجم حبات الحمص و لعدس، حيث فاهم  
وأطاشت سهامهم، وحوكتهم إلى صرعى ومرضى هالكين  
لمادا أفصا في ذكر هذه الواقعة؟؟

لأنها لإرهاص "الذي يختاره من بين ما قبل من إرهصات أخرى كئار  
فصيا من الصديق التاريخي ما يشح كإعراض عنها، لا سيما، وعد توج  
القرآن العظيم هذا الصديق التاريخي بإحدى سورته القصار، والمسمدة "سورة  
الفيل" وذلك حين اصطفى الله "محمدًا" ﷺ رسولاً، وراح يُصره على عت  
قومه وشأنهم، مذكرُ إياه نعمته لسابقة على أهله وبفقت المحقة لعمارة  
الآئمين، فقال سبحانه في كتابه المنزل عليه

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ  
كَيْدَهُمْ فِي تَصْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ .. تَرْمِيهِمْ  
بِحِجَارٍ مِّن سِجِّينٍ فجعلهم كعصفٍ مأكُوفٍ ﴾  
"سورة الفيل"

في شهر المحرم من ذلك العام، كانت غزوة أبرهة الماشلة  
ويشاء الله فما بعد، أن يكون "المحرم" بالذات هو الشهر الذي يستهل به  
لمسلمون عامهم، هجرى المتساقى عبر العصور والأزمان !!  
وفي ذلك العام أنص - عام الفيل - استقبل شهر ربيع الأول، في لتاسع  
سه، وقيل في الثاى عشر من أيامه، العُرُ والذى يوافق فى التاريخ الميلادى  
العشرين من أبريل عام خمسائة و و حد وسعين استقبل - اس لشربة السار -  
وظعنها العظيم !!

الطفل الذى سيقود طموته، الرحل بكاس فيه .!!، الطفل الذى سيقول

"الرجل الكامن فيه" أن لم أخلق هذا حتى حين بدعوه لدائمه وأترابه إلى هو  
برى...!!

و لطف الذي لم يجد - حين يعد إلى الحياة - أب يُبديه في سرية الأطفال  
وحتهم إلى الحنان، قائلاً: يا أبى!!

دلت أن أباه لقي ربه، وأمه حامل به وبعد ست سنوات من مولده سيفقد  
أمه ثرى، هل أراد الله له هذا، اليتم المكر ليدرك "الرجل الكامن في الطفل" إلى  
التجلى والظهور والهيمة؟؟

على أية حال، ولأحبار الوثيقة عن طفولته، ثرى فيه "رجوة" مبكرة ترداد  
بما لا عهد للأطفال به - مهما سمو - من أناة، وحلم، وثرفع، واتزان

وم كان حده "عبد المطلب" البعيد النظر، والناقب، المفكر، والحائر لفرد  
كبير من نور البصيرة، وشفافية الروح ما كان ليحتفى به كل تلك الحفاوة، ولا  
يعترب به كل ذلك الاعتزاز، ولا لبصطحه إلى حيث يؤم من مجالس لسيادة  
والأشرف، ولسانه يردد - دوماً - في زهو وشرف عبارته المأثورة "والله بيكوس  
لاني هذا شأن"

أقول م كان "عبد المطلب" بيهم بحمده "محمد" ﷺ كل هذا الاهتمام  
اندى لم يمنح معشاره أحداً من بقية الأحفاد، لولا ما كان يحمل الطفل الحميد من  
محبي، لنحده، وأماثر، لتموق، وملاح مستقل واعد وعظيم!!

وحس يرحل أحد الحاسي عن المدي، ويتنقل الطفل إلى دار عمه "أبى  
طالب" وكما لته يجد العم لا يقل عن الجد الرحن في افتتانه بشخصية ابن  
أبيه، واحترامه "الرجل الكامن فيه"!!

ونصح هذه الرحولة الكامة كمُؤن المء في لعود الأحصر، ولسرية  
كذلك تحول الطفل سريعاً إلى فتى يملأ الأعين جماله، والأفئدة حلاله!! فكيف

تصور هذا الفتى الدُّراح الماحد ؟؟

لنشاهد لأن الصورة التي رسمها بقلمه "أمير على" العالم الهندي لمسلم في كتابه القيم: "روح الإسلام":

يقول: "ستطع أن تصور ذلك الفتى بعينه الحائرتين، مُشرقاً، مفكرًا، مهمومًا، وكأنه يستشف حجب الغيب، أو تنفتح له نافذة ضيقة على مهام المستقبل

تصوره، وهو يروح ويعدو في رفق بر أفراد عائلة عمه المتواضع، أو يتجه إلى الصحراء، فيملأ رجهه في جمال وجه الطبيعة.

كان ذلك الفتى رقيق الحاشية، حلو الشمائل، مُرهف الحس تجاه آلام الناس وكن - ابن الصحراء - هذا، انطهر الصمير محبوباً لدى كل من يتصل بهم ولدى عمه على الخصوص، إذ شأين "أبي طالب" و "محمد" ﷺ دست العطف الأبوي الخميم الذي لم يذكر التاريخ به مثيلاً..

"نقد شق" الملائكة صدره، وملأوا بالنور قلبه..

كان لفتى المأمول ميمون لنقية، سعيد الطابع.. سعدت بطالعه وهو رضيع - مرصعته "حليمة السعدية" - سعدت به سعادة عمرة، صورتها في شهادة عاطفة وكلمات صادقة .

وسعدت به قريش، وهو فتى عرير وبصير حين كان عمه يستسقى به فصل الله وعت السماء ونصغ لشاهد عن أي أحد تلك المشاهد، فقل "قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا أبا طالب، أقحط الوادي، وأحذب لعيال، فهلُم فاستسق بنا فحرح أبو طالب ومعه علام وجهه كانه شمس تجلبت عنه سحابة قتما وحوله أعيلمه فأخذه أبو طالب، وألصق بكعبة ظهره ولاد بأصبعه الغلام.. وما في السماء حينئذ قرعة .

وفحاة أقل السحب من هه ومن هنك. حتى أغدق واعدوؤدق.  
وانمجر الوادى. وأحصب النادى والبادى '

وهكذا كان الغلام الصغير "محمد" ﷺ كما سيصفه عمه "أنو طالب" فيما  
بعد، فيقول عنه :

وأبيض، يستمقى العمام بوجهه

شال اليتامى عصمة للأرامل

إذا كنت الطمولة - أيه طمولة - تحمى فى بطنها المستير، وخشها المستكن،  
ويدور شئونها ونمائها، م يومئ إلى مستقبلها عبر تطور ثواتٍ ومحكوم، فإن طمولة  
"محمد" ﷺ ويدهته، لم يكونا إلا "طليعة" صادقة ومُشرقة، لرجولته الوافدة،  
ولواعده

كما ستكون "رجولته" بشيراً صادقاً ومالئاً لرسائله المقبلة - حيث يصطفى  
الله من رسله من يشاء - وحث يكتم فى "محمد الرجل" - "محمد الرسول"  
عليه صلوات الله وسلامه.

\* \* \*

لقد كانت أم 'الإسكندر الأكبر' تحتضنه دائماً بهذه الدعوة العجبة "اللهم  
اررق ولدى" حفصاً "تُسحر له عقول الرجال ولا تررقه" عقلاً "يُسخر لخطوط  
الرجال..!

وهى دعوه كما نراها مفرطة فى الأدائية !! ومع هذا فكأنما صادفت مرة أو  
مرتين بشاً مفتوحاً من أبواب السماء فقد ررق أبى الإسكندر... فعلاً - حط  
سُحرب له عقول الرجال !!.

ولكن، ماذا تُفيد السُحرية من الباحثين عن حظوظهم والراكضين وراء

طموحهم الشخصي، ومجدهم المرغوب؟!

عداء، يحىء "عمد" ﷺ لنجد الحياة فيه حظها وعقلها مع وتجد فيه  
دُعائها المستجاب الذي طالما قرعت به أبواب السماء، وألحت به على دى  
العظمة، والخلال، والكبرياء كي يُعجل لها بالنقد الذي سيكون يوم يحىء  
أحلامها ملء يقينه

وأشجى أطياف شحونه..

وحلول مشكلاتها، مطويات بيمينه..!!



## الفصل الخامس

الرسول الكاسية فاعلموا!

4

4

.

21

21

:

3

.

4

.

21

21

22

23

24

25

26

27

28

29

30

31

32

33

34

35

36



ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان..

ولم يكن صطحاء الله له، قد وضع في نفسه، ولا استبان له بصورة من صور  
اليقين أنه مُدَّخِر رسالة عظمى سيختم الله بها الدين والمرسلين  
بيد أنه كان يملث بحساسة عميقة بأن أمامه دوراً كبيراً ينتظره على شوق  
مادا سيكون هذا الدرر؟؟  
مصلحاً ؟ قائداً ؟ زعيماً ؟

ليس يدري بعد . لكنه يدرك تماماً أنه لم يخلو لما خلق له لكفة من الناس!!  
أقل من يقل من قبل وهو طفل صغير لأثره حين دَعَّوه إلى هو سرىء " أنام  
أخلق لهذا " ؟..!

\* \* \*

لقد مُبِحَ من السَّجَايا المارهة، ومن حميد الخصال، ومن رفعة النفس، وظهر  
لسلوك، ونقاء الضمير، ما جعله مَهْوًى أفئدة قومه جميعاً، وموضع احترامهم،  
حتى عقدوا له إمارة اصدق والأمانة، فلقَّبوه بـ " الصادق الأمين " كان يسلك  
سلوك المرسلين، ذوق، أو قل أن يكون واحداً منهم.

وكانت أيام حياته، وسنوات عمره نسيجاً من الورق!! لم يكن يدري أن ثمة  
إرادة عليا تحذو خطاه، وترعى مسيرته، وتقوده في الطريق الذي ينتهي في نهايته  
بما أعدته له هذه الإرادة من نور يصيء به من حديد طلّمت الحياة!!

لم يكن يرى " الرسول " الكامل في " الرجل " لكن وعيه، وقنه، كما في

حالة "حُصُور" كامل تحاه مأساة الإنسان!!

ولقد تمثلت هذه المأساة في الكثير من حماقات الناس، وفي استبعاد الأقواء الصغرى، وامتثال الأعياء المقراء وفي الأعراف العاسدة التي كانت تجعل العلم هو القاعدة، أما العدل فتأذى رشا وفي التقاليد العقيمة، والرؤى العقيمة، والجهالات الموروثة، والسلوك الملتاث !!

وكان أكثر ما يُقلقه ويُؤزقه، تلك الصغرى المحلقة حول حجارة مرصوفة تشكل أصناماً صُماً، ونُكُماً، وعُمياً ﴿وَأَن يَسْأَلَهُمُ الَّذِينَ تَابُوا شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا صِغْفَ الظَّالِمِينَ وَالْمُظْلُومِينَ﴾ !!..

\* \* \*

أبى انوحيد بنى هتف به من قرون بعيدة، وفي هذا البلد بالذات - مكة - أبو الأسياء، وحليل الرحمن "إبراهيم" عليه لسلام ١٩

لقد هتف من قديم بالحقيقة التي أسفى بها بعد طول بحث، وإيمان بطر، وفرة في السماء، وتقلب بين سحوم وياتها والكون ومعجزاته هتف في أعماق قلبه الذكى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .. ولقد تركها نافية في عقبه، مذبذبة في أفق الجزيرة الواسعة فأين ذهبت هذه الخيفة السّمة، والمؤمة، والموحدة ؟

هل ضاعت، أو تاهت في رحام الوثنية والشرك ١٩

لقد كان هناك هُدة برعون بن الحس والحسن، نلوحون برابة "إبراهيم" ويذحسون بأصوات عالية ما كان قد تغشى حياء قريش في مكة، ولعرب كلهم في شبه الجزيرة العربية من وثنية وشرك

كان منهم من سبق الرسول الكريم ﷺ بعشرات السنين، وربما بمئاتها  
ومهم من كان إرهاباً بين يدي حجر الطالع القريب  
فمن الأولين.. مؤيد بن عامر بمصطلقى يدى جهر بعقيدته انبعث، ويوم  
الجزء

وعامر بن الظرب الذى كان يقول لقومه.

"إبنى ما رأيت شيئاً قط حق نفسه ولا رأيك موصوعاً إلا موصوعاً ولا  
جئت إلا دهباً، ولو كان لدى يميت الناس نداء، لكان الذى يحييهم الدواء!"  
وكان منهم: استلمس بن أمة الكنسى، الذى كان متوسط القرشيين عند  
الكعبة التى حُثت حولها الأصنام وتُصَدَّحُ منهم بقوله: "أطعموني ترشدوا لقد  
اتَّحدتم آهة شئى.. وإن الله ربكم، ورب ما تعدون"  
وكان من بينهم "رهير بن أبى سلمى" يمسك أوراق الشجيرات التى هُتِرت  
حصرة، بعد أن كانت هامة ياسة ويقول: "لولا أن تُسسى العرب لأمنت أن  
يدى أحيك بعد جفاف، سيحيى العظام وهى رميم!"

كان هؤلاء، وأحرون معهم، يستشرفون الحقيقة، ويخالعونها بمصائر  
مُصاة. لكنهم لم يظفروا بالأصطفاء ولا بالرسالة اللذين سيظهر بهما "محمد"  
ﷺ القادم بعد حين وكذلك كان من أعماطهم الرفيعة، نصر كريم ظهروا قبيل العثة  
المحمدية من كان منهم من عاصر الرسول قبل بعثته فهذا "أبو قيس بن أسس"  
اعتزل قريشاً وأصبها واصطاع له فى داره مسجداً صغيراً، لا يدخله طمث  
ولا جنب، وقال: أعبد رب إبراهيم

ولقد عاش حتى بُعث الرسول ﷺ فأسلم معه.

وكان هناك ثلاثة حُرور من هؤلاء "الخنفاء" اسابت من أفئدتهم البصرعة  
كلمت لتوحيد كائسب الربيع وسط حصير الوثنى المشوب!! وكأما كانوا

جميعاً سابقون منهم واللاحقون - إرهاباً بالدين المقبل، وبالرسول القادم لذي  
سيعيد راية الحق إلى مكانها، ويُسوي بالوثنية التراب !!

(راجع كتابنا "خفاء الرسول")

لم يدع أحد من هؤلاء، ولا من أولئك برسالة فهل سيدعيهم "محمد" حين  
يجيء !!

\* \* \*

هذا الرجل بدأ "مكة" عبيرُهُ - وأينما سارت به خطاه فالخير، والحق،  
والهدى في ركابه!!

وإنه لحمل ضميراً يميز به بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلal  
ضميراً مُصْناً، ومُصَيِّئاً يبعث فيه إحساساً غير مألوف إحساساً سور غير منظور  
يصيء عقله، وقلبه، ورؤاه. !!

وَيُرْسِل دَكرته إلى سرات العمر السالفة بعيدها وقريبها قاصيها وديها فلا  
يكاد شيء ما يبدية إليه - د أن حياته الظاهرة واسطورة، م تكن أبامها تطوى  
على مشاهد غير مألوفة في حدود ما استمست به، وعُرف عنه من طُهرٍ ونُسك،  
وأمانة وصدق..

ولكن لعلهُ استأنى وترقف مع ذلك المشهد بالشم حين صبح عمه "أب  
طالب" في إحدى رحلاته التجارية ذلك أنه حين سرن لركب - "نُصْرَى"  
وهي انتى تسمى الآن "حُراب" اتجهوا لزيارة "بحري لرهب" الذي كان  
يتعبد في صومعة من صومع الباسكين، ويقصى بها حياته في ظل ما تُمَيِّنه على  
لعابدين سكية الإيمان وُردُ اليقين

وقريباً من صومعه، برلو، تحت شجرة ينشأون طلائها ولعل طيها الظليل لم  
يتسع لهم جميعاً، فاستأجر الفتى الحدين إلى حوافيه، مُسَبِّحاً، لما كان لآبائه الكبار. !!

وشيء ما شد نصر "بحيرى الراهب" إلى الغلام لوضيء والنصيء، برأى عجباً رأى أغصان لشجرة وقد تَهَضَّرَتْ، وتدلَّت على "محمد" ﷺ حتى عطته بطلها..!! ورأى "بحيرى" أن يسُرَّ أعوار لعلام بعدم رأى من عجب أمره، فدعى رحال اتركب إلى وليمة وطعم وحين تحلَّقوا حول مائدته افتقد لعلام الأثير لديه والذى من أحله استصافهم، حتى يجد فرصة سانحة ليندو أمره، ويستنظر خبره..!!

هناك نال لهم لا أريد أن يتحلف أحد مكم عن طعمى فأجابوه ما تحلف عث أحد إلاّ علام، هو أحدث القوم ساء، ولقد حلمناه في رحالنا قل لا تفعلوا، ادعوه ليحضر لضعف معكم..!!

وبدع "ابن هشام" أو "بن سحاق" أو هما مع يروين لنا بقية لسأ العظيم

" فقال رحل من اتركب والابل والعُرى إن كان لَنُؤْمَ به أن يحلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من ييسا. ثم قام إليه وحنصنه، وأحسسه مع لقوم

" فلما رآه "بحيرى" جعل يدحظه لحظاً شديداً، ويظهر في أشياء في جسده، قد كن يحدها عنده من صفتة حتى إذا فرغ القوم من طعامهم، وتفرقوا، قام إليه "بحيرى" فقال له يا غلام، أسألك بحق الابل والعُرى، لا ما أحررتى عما أسألك عنه؟ ورى، ستحلمه "بحيرى" باللات ولُعرى، لأنه سمع بقرشيين يحلمون به، أو لأنه أراد أن يخبر أعماقه فأجابته "محمد" لا تسألنى باللات والعُرى، فوالله ما أبصتُ شيئاً قط بغصهما..!!

" فقال له - بحيرى - فبالله إلاّ أحررتى عما أسألك عنه فأجبهه الغلام على عما يد لك " فجعل يسأله عن أشياء من حباه في نومه، وهيتته وصوره

فجعل يحبره، فبوافق ذلك ما عند "يحبري" من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى  
حاتم البهية بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده !!

" فلما فرغ أقبل على عمه "أبي طالب" وسأله ما هذا الغلام سئ؟؟  
قال: ابي

قال يحبري: ما هو بابنك وما ينمى هذا الغلام أن يكون أبوه حياً !!  
قال: فإنه ابن أحيى.

قال: فما فعل أبوه؟؟

قال مات، وأمه حُلِّي به .

قال يحبري: صدقت، فارجع برس أخيك إلى بلده واحذر عليه "يهود" !!،  
فوالله لئن رأوه، وعرفوا ما عرفت لينغته شرًا، فإنه كائن لابن أحيى هذا شأن  
عظيم..!!

\* \* \*

نقول لعل هذا المشهد الذي لا يجد العمل الشديد أي حرج في تقبُّه،  
كحقيقة تاريخية، روى التاريخ منها الكثير، ولا تراه نظائرها تصدع وتطهر، حتى  
في عصرنا هذا، مُرهضة بقدوم عظيم، ومُبشرة بمقدم رائد حديد من رُواد الحياه  
الأفذاذ. أقول: لعل هذه الواقعة كنت - أكثر من سواها - تدور عليها حواطر  
"محمد" الرجل، فتوحى إليه بأنه "بما كن في انتظاره مهمٌ جليل، ودور عظيم

وعلى أنه حال، فقد كان الاحترام لمريد الذي عمله له قومه يتامى كل  
يوم، ويدعوه إلى التحدث مع نفسه في حلواته لا سيما تلك التي كان يقصصها  
وحيداً في غار حراء...!!

ولا يحسب أنه يسى، أو يتناسى، ذلك اليوم الذي يتلأأ كالمع ذرة في تاريخه  
كرجل - قل أن يصبح الرجل رسولاً

فحين كان يحاز الخامسة والثلاثين من عمره المنجّد، اجتمعت "فريش" لتحديد بناء الكعبة - إذ كانت يومذاك "رَصْمًا" أى حجارة رصّت بعضها فوق بعض من غير ملاط يُمسكها

وقد تردّد رعماء فريش طويلاً أمام هدمها لسائها من حديد وارتعدت فرائصهم، وهم يقتربون منها بمحاولهم لبدأوا عملية الهدم، حتى صاح فيهم أمثلهم طريقة، وأشجعهم رُوحًا، وتقدم بمحولة بادئاً الهدم، حتى إذا رأى الآخرو أنه لم يَمْسسه سرء شجعوا، ونادوا لإعجار مهمتهم المائلة.. ووصلوا بالساء إلى موضع الركن، فاختموا فيه

كل قبيله تريد أن تفرد برفعه ووضع في مكانه

واشجر النزاع، واحتدم الصراع . وذهبت أكثرية هذه القبائل إلى أحيائهم، ثم عادت مُدحجة بأسلحتهم وحارب قبيلتان بحصّة مخلوعة دمًا، ودخلوا أديهم فيها مُتواثقين ومعهديين على أن يفردوا برفع "الحجر الأسود" إلى مكانه، أو فليموتوا، دون ذلك . وسُموا ذلك اليوم "لَعَقَةُ الدّم" !!

سث انصرع خمس ليال. ثم عادوا فاجتمعوا في المسجد الحرام، والأرمة لم تُسَرَّ بعد

وبهض سهم "أبو أمية بن المغيرة" من سى محروم وكان أكبر انقرشيين سنا واقترح عليهم أن يُحكموا أول دخل إلى المسجد !!

ومرت دقائق صامتة، والأبصار معلقة بالأبواب تُرى من سيكون هذا الذى ستحتد به المقادير لحسم هذا الخلاف المندر والرهب !!

وفجأة أطل "محمد" ﷺ وبوره يسعى بين يديه وصاح المحتميين "هد الأيمن. هذا محمد قد رضاء حكمًا" !!

و ستأهم الخبز، وكنت قد ترامت إليه من قبل أحجار السراع الذي طل  
مَشْبُوبًا خمسة أيام ولم يفكر طويلاً فيما يصنع.. فقد تقدمت بذيته المشرقة  
بأسعد الحلول

دعا المجتمعين أن يأتوه بثوب فأتوه بثوب. فأتى به، وأخذ "الحجر"  
بيمينه، فوضعه في الثوب، ثم قال: "تأخذ كل قبيلة بطرف من أطراف هذا  
لثوب، ففعلوا. ثم قال: ارفعوه إلى أعلى، فرفعوه حتى إذا بلغوا به موضعه،  
تناولوه بيديه الكرمتين، وبوأه مكانه، ثم بسى عليه!!

إذا قلت إن "الرسول" ﷺ، "كمن في" "الرحل" كان بطل هذا الموقف، لم  
يكن عن الحقيقة معرضين. ولكنكم يسعدنا أن نقل هنا آياتاً عذبة من الشعر  
لشاهد عيان رأى بعينه حلال الموقف وسأله - ذلكم هو "هيرة بن أبي وهب  
المحزومي" فلتصغ إليه:-

#### تشاجرت الأحياء في فصل خُطة

جرت بينهم بالنجس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودة

وأوقد ناراً بينهم شرُّ موقد

فلما رأينا الأمر، قد جدَّ جدُّه

ولم يبق شيء غير سَلِّ المهد

رصينا، وقتلنا: العدل أول طالع

يجيء من البطحاء من غير موعد

فما جانا هذا الأمين محمد

فقلنا: رصينا بالأمين مُحَمَّد



هذه رحل كانت الأقدار تعدّه، وتخصّه بحمل تبعات الغد.. الغد الذي لن يسهى بين غشيّة وضحاها بل سيتمدّ ويطوى حتى يرث الله الأرض ومن عليها!!

هذا هو "محمد" ﷺ يعرف في لواء وفهم عن معتقدات قومه، باطلة اهزلة. ويتردد إلى عار هناك في أعماق الجحيم، يُصبّ فيه إلى همّس الكور كله، وإلى رؤاه المُجسّحة في ملكوت الله. ويتحدث مع نفسه ومع أشواقه حديثاً مُعطرًا بالذكاء، وبالوعى الباطني، والإلهي المضاء!!

ثم يعادر لعار إلى الحياة الصالحة، مُؤدّي فيها دوره وعمله في طهر وعناء. أكانت أحاسسه ومشاعره على موعد مع أمر ما، قد اقتربت أيامه، وتهيأت أعلامه؟؟ أكان "الرسول" ﷺ الكامل في "الرحل" على وسك أن يُؤذن بالظهور؟

هل تنهى دور الإعداد والتهيئة، وأقبل دور الإمداد والرسالة الخالصة؟<sup>١٤</sup> ها هو ذا يكثر من اللجوء إلى عذراء الحبيب وكأنه على موعد هناك مع مفاحة لا يعرف هويتها، ولا يدرك حقيقتها!! بل كل شيء في داخله ينوّهح وينالق وروحُه الطنّعة تتوشب بين جوانحه ويبدو قلبه الكبير، وكأنه يريد أن يطير..!

وسمعه اندهف المتحضر، قد أعرض عن الكلمات والإشارات، وأرصد جميع موافده إلا نافذة واحدة قُرب منه وألقى إليها نفسه في تجدد وتبشّر، وبصات وإصعاء.. لكأنه على موعد مع كلمات سيتلقاها من الله!!

هذا، في داخل الغار.

أما حارجه، فقد بدت الحياة وكأنها تحولت بكل ما فيها إلى مهر حار حافل

ورائع تصدح من خلاله، وتهف

- أهلاً بمقدم الرسول ﷺ .. !



## الفصل السادس

وجاء يوم الشروق



ليس من مهمّ هذا الكتاب اتسعة التمهيدية حياة الرسول ﷺ، إذ أن ذلك  
مهمة المؤرخ وأسفار التاريخ

وأن هذا لا أؤرّج الحياة العظيمة الخاتم الأنبياء وإمام المرسلين إنما أحاول هي  
تواضع وحياء أن أقرب من مطالع السور الماثلة في نألقات هذه الحياة وفي  
سُموقها وجلالها..

أحاول أن أجمع الذين سيطالهم هذه الصفحات بالحقيقة المسمرة كصوء  
النهار (لهذه صدق "محمد" ﷺ وصدق رسالته وانتي تسادى لبس - جميع  
الناس - بصوت صاعد وظهر إن "محمدًا" ﷺ رسول الله إلى الناس كافة . وإن  
لصدق والحقيقة لا يجدان نفسيهما، ولا يحققان دائيتهما، بمثل ما يجدان وم  
يُحققان في نبأ هذا الرسول الصادق والأمين..!!

\* \* \*

ولقد مررنا سريعًا بإلهامات طُفولته وبقِصته وبرُحولة شبابه، واستهلان  
رجولته حيث رأينا أيام اليافع، ولشب، والرجُل فيه تتقل فيها وبها أطوار  
حياته طاهرة وباهرة وعظيمة !! حياة تخلص سريرتها لمسكنة برؤى طموحة  
فضلة، وهيام بالإسهام بلا حدود في إرجاع الخلق إلى الرب . ووضع لأصا  
ولأورار عن أسرار الخيارات ولتأثير، والمتحيطين في الظلمات، تنتظرهم فجاءة  
النقمة، وشقوة المصير..!!

من أجل ذلك كان يأوى إلى "غار حراء" ليتأمل وليهيء سمعه، وقلبه قبل سمعه، ليلقى بصوت الخالد صوت الحقيقة، وهدى، والخير، الذى لم ينجس عن دنيا الناس لحظة يُلهم الرُّؤاد الذين يسرون فى الدروب غير المطروقة مُمهدين الطريق، وعارسين المنبع أصم الشربة السائرة، والمسافرة

يبد أن لصوت الخالد هذه المرة، كان أعمق وأرثق من كل ما سمع الرواد من أصوات، وما تُلغوا من إلهامات أحسن - هذه المرة يحلف رنية، وتتمر هوئته.. فهو "وحى" لا "إلهام" وهو "جريل" يتحدث. وليست "حواطر" تتردد لقد ان للذى طال انتظاره، وطال قرعهُ لأبواب، وطال تقلب وجهه فى السماء.. أن له أن يعرف أنه هو.. وليس أحداً سواه!!

هو، هو المذخر لحمل آخر كلمات السماء إلى الأرض !!  
وهو، هو - الذى بشرت به الكُتب، ونحذت عن قرب مجئهِ الأبيء،  
والخفاء !!

وهو، هو - الذى سيحمل فوق كاهله الوثيق تعاب دين ورسالة، لئلا إلى نومه وحدهم - كما كان شأن لأنبياء من قبله - بل إلى البشرية كلها ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ بِتَكْمٍ جَمِيعٍ﴾

وهو، هو - من سيحمل لنور الذى صلد بحث عنه فى توق عظيم وسعى إليه فى شوق حمم..!!

وبعبارة واحدة - هو "محمد" رسول الله وسيره وشيره . والداعى إليه بإدنه وسراحه المنير !! فكيف تمت كلمة الله، وكيف - فى يوم شروق عظيم - تلقى كلمة الله، ووثيقة التكليف!!؟

من قل، كنت الرؤيا الصادقة عملاً يومه بالبشرىات فكان لا يرى رؤيا إلا صدقت وتحققت كسلاح الصباح وصوت الصبحى نكهة اليوم وفى السنة التاسعة بعد الستائة للملاد. وفى اهزيح الأخير من إحدى ليلى دمصار، اتقى أمين الأرض بأمين السماء !! وجاءه الملك...!!

لن تستطيع الأقلام أن تصوّر أو تتصور حقيقة ولا هوية ولا أسرار تلك اللعظات التى شهدت - لأول مرة - لقاء سفير السماء بالأمين "محمد" الذى سبصبح بدءاً منها ومنه "رسول رب العالمين"

فلجأ إليها إلى لحوار المثير لندى دار بين الملك والرسول فى مثل سرعة لصوت وهو حوار يرويه الرسول - عليه السلام - بنفسه قائلاً

" فقال: اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطى - صممه بقوة واعتصم - حتى بلغ سى الجهد!! ثم أرسلنى - تركنى - وقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذنى وغطى الثانية!! ثم قال اقرأ.. قلت: ما أنا بقارئ فأخذنى وغطى الثالثة!! ثم أرسلنى، وقال اقرأ

قلت: وما اقرأ؟؟ فقال

﴿ أَقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ..

الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . ﴿

أهلّ - دن - يوم الشروق والاصططام ودقت ساعاته الصادحة، وتُشربائه  
المابحة ١٠

\* \* \*

والآن، أرحع وانقارئ معي إلى كلمات كنت قد أودعْتُها كتبي "عشرة أيام  
في حياة الرسول" الذي ظهرت طبعته الأولى في مارس عام ألف وتسعمائة  
وسبعين .

أرحع إليها، لأنها لا تزال، وستظل تُمثل "رؤيتي" ونفسي، واسهاري بيوم  
الوحي العظيم.

أعلنت السماء إذن مُحترها ومُصططها، ندى ظل ترقُّه وانتظره صدقت  
إذن كلمات الكتُب، وشوأت الحنفاء والقديسين.

وها هو ذا، في مكان معزل عن صحب الحياة، في أعمق غور لأعلى حس،  
حيث أوى إلى هلك ناسكاً ظهوراً يصرع إلى ربه كي يدله عليه، يهبط عليه سمير  
السماء في حلاله، حاملاً نور الله إلى لمتتل الأواب، وحملاً إلى انشربة وثيقة  
رُشد جديد سيكون إمامها فيه وأستاذ ومعلمها هذا الإنسان الودود، حميد  
إبراهيم، ودعوته وبُشراه.. ١

نرى لو لم يكن يوم الوحي هذا، بين أيام الدنيا، فأى مصير كنت الشربة  
مُتلاقية..؟؟

إن لكلمة التي استهل بها الوحي بحواه مع رسول الله ﷺ لتقديم لنا أروع  
وأجمع.. وأوجز وأبحر جواب

فإد كان العم، حوهر كل حصارة أقامها الإنسان على ظهر أرضه،  
وكوكبه



ورداً كان الإسلام - فيما بعد - قد قدّم للدنيا حصارة متكاملة تدبرها كل الحضارات التي جاءت بعده، حتى تلك التي استهدفتها شأبها وعدواها.

إذا كان ذلك كذلك فإننا نستطيع أن ندرك في يسر نور المصير الذي كانت البشرية ستلقاه وتتردّى فيه لو لم يكن يوم الوحي يوم "اقرأ باسم ربك"، يوم "القرآن" و"محمد" و"الإسلام" من أيامها، بل على رأس أيامها

كذلك نستطيع أن ندرك في يسر، لماذا كنت أولى كلمات الله إلى رسوله "اقرأ".

م تكرر "صلّ" و"صمّ"، ولا "تعبد" بل كانت: اقرأ..

هذه "الكلمة" التي خصت جوهر الإسلام ومستقبله..

فهو لن يكون دين تكريس ديني فحسب، بل ولا دين سلوك فحسب، إنما هو قبل ذلك وهو ذلك 'دين حصارة'. جاء يستنق عِلماً حديداً يحل ما تحمل كلمت "عالم" و"جديد" من معنى ودلالة

ولكي يستيقن الناس عبر الزمان كله أن هذه الحصارة المقبلة هي عطية السماء، فقد اختر أستاذها ونايها ذلك الذي لا عهد له من قل قلم ولا يكتب.. ذلك أنه لن يكون محترعاً لهذا الدين وحصارته. إنما هو مُلغ عن الله.. ناقل عطاياه من السماء إلى الأرض ومن ثم سيكون معه من المقلدة ما يغير به كيمياء الرمن، وكيمياء الشر وكيمياء الحياة..!!

ومن يدري.. فلعل الصمات الثلاث الشديدة التي ضمّه المثلث بها حتى كادت أصلاعه تنسحق تحت ضغطها، واندى وصفها الرسول في حديث آخر قذلاً: "فقطى حتى ظننت أنه الموت".

أقول لعلها كانت إحراء مقصوداً لتغيير كيمياء جسده هو - وتغيير كيمياء

روحه هو - عليه أفصر، لصلاة وأركي السلام - حتى يتسع جسده وروحه لدقوة  
 الحديدة التي أفرغت فيهما ليحتملا عنه الرسالة وهو ان الصداق  
 ولعلّ انقطاع الوحي عنه بعد هذا بقاء الأول لفترة بلغت سنوات ثلاثاً،  
 كان إجراء ضرورياً حتى يتمكن الحسد والروح معاً من استيعاب القوة الإلهية  
 الحديدة التي أفرعها الوحي فيهما، وحتى تتكيف كيمياء طبيعته البشرية بذلك  
 المدد العلوي الذي نقلته إليه الصمدات الثلاث الصاعقة التي احتواه بها ملك  
 الله جبريل.

والآن، لنمصر مع "يوم الوحي" في بيته مجيدة.

ب. لرسول يغادر الغر مسرعاً تغذ الرهبة خطه، يسائل نفسه ما هذا الذي  
 حدث فجأة وعلى غير انتظار؟ ويلتفت وراءه وأمامه، وعن يمينه وعن شماله،  
 فيطمئن إلى أنه وحده، وليس ثمة من يتبعه - بيد أن الأفق يلمع فجأة بصياء  
 عجيب، ويرفع الرسول ﷺ رأسه ليرى - هذا هو هالك يملأ الأفق في حلال  
 مهيب - نفس الملك الذي كان من لحظات يملأ عليه عار حراء، وتمحور الوعدة  
 العذبة جسده من حديد، ولا يدرى أياد يسير، فتتشتت قدماء الأرض،  
 وتستقل أدناه هذا البدء:

"يا محمد أنت رسول الله، وأنا حريص"

فيعشه من وقع انشهد من يعشه، وتردد قدماء انصدقاً بموطنهم كأبهما من  
 الأرض بعض غراسها !!

ويغيب لصوء، ويغيب معه مشهد الملك، ويستأنف الرسول سيره مقتلاً من  
 ارمال خطاه

ولا يكاد يدع داره، ويلقي روحه "حديجة" حتى يلقى نفسه في حجره

ويبين يديها، وكل جسده يرتجف كالزلزال

وتصغى "حديجة" لكلماته المترددة مع أنفاسه الوجيلة يصف لها ما حدث  
تدب كأنها تراه

وتهتف "حديجة" وقد التمع وجهها الخليل تحت ضوء الأمل و يقين  
"أبشر يا ابن عمّ، وأثبت

فوالدى نفس خديجة بيده، إني لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة"  
يقول لها الرسول ﷺ، وقد أخذ الرّوع يُر الله، والسكينة تقرب منه  
"لقد حشيت على نفسي"

وتجيبه خديجة.

"كلا وأبشر فوالله لا يحريك الله أدياً، إنك تتصل للرحم، وتصدق  
الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الصنف، وتعين على نوائب  
الحق"

ثم تعش "حديجة" التجربة لى عاشها الرسول في العار . كنت بعيدة عن  
هذا مدى حدث فحاة، وتنتهى فحاة فى خطوات، كأنها قرن من الزمان !!  
من أجل هذه، كانت فرصتها مُهيأة لكى تقول كلماتها هذه فى هدوء  
وحره الله حير فقد كان موقفها ذاك حديراً عن اختارها انقدر على علم  
لتكون قرية هذا الرسول ﷺ . !!

\*\*\*

نرى بو أن "عمد" ﷺ كان يطمح إلى عهد النبوة، ويعمل بلوع هد، المجد  
بوسائل مصنوعة ومُكلفه - أكانت حاله عند بحىء الوحى إليه ستأخذ هذا الصانع  
الذى رأينا ؟

كلا.. بل ولا كانت الأقدار ستحتار به هذا العطاء.

لكن "محمدًا" ﷺ كان يرجو الله ربّه.. كان يريد الله ربّه

لم تكن فيه ذرة طموح لمجد دني أو عني محمد يكتسبه باسم الدين بل كان كله طموحاً لتكريس ديني . كان كله شغف وهياماً عبودية حاصلة صادقة يطرحها في تواضع وبكاء بين يدي ربه العلي ، كبير . وكان كله شغف وهياماً بأن يعرف الحق، ثم يهايه إلى الشريعة الخاتمة ويهديها إليه ثم كتب مرآته التي فطره الله عليها تؤهله لكل ذلك فكان فصل الله عبيه عظيمًا

\*\*\*

لم يكن من طبائع الأشياء أن تحو "خديجة" من دهول المفاجأة وعم الكمات الخفية التي أهمتها حكمتها يهاها، لتسرى بها عن لرسول رهبة ، المشهد، وتخفف من وقعه وهيمته

لم يكن من طبائع الأشياء، ولا من طبائع الشر ألا ينتقل إليها من الرهبة نصب، مهم حارلت بهوئها المتسرى أن تكتسب الرهبة وتحميتها.

صحيح أن رهبتها لم تكون شيئاً مذكوراً بالنسبة رهبة الرسول الذي عايش التجربة وعنده.. بيد أنها رهبة تثير من الحيرة ، وحيرة تثير من رهبة ما يدخل الذكاء الإنساني مهما تكن قدرته في أمة تساؤل وقلق

ولقد استطاعت "خديجة" العظيمة حمًا أن تلقى وجه المفاجأة شبات كان سابعاً من شخصيتها الفريدة أما بقية المفاجأة، فقد كانت بحاجة إلى محبة أخرى تُعطى له حدث تفسيراً، ويُضفى على الروح الذي لا يزال مأخوذاً، المرید من السكينة واليقين وتمثلت لها هذه المعجزة في ابن عمها "ورقة بن نوفل" و أحد من الذين استهجو عبادة الأوثان والأصنام وأوصى نفسه في البحث عن الدين

خلق وحين أدركه الإعياء ألقى رحله على مرفأ من مرفئ لنصرانية متمثلاً في ذلك المذهب الذي كان يرى في المسيح بشراً، لا إلهاً..

وهكذا اقترحت "حديجة" على "لرسول" ﷺ أن يذهب إلى "ورقة" عليهما يجدد عنده رأي وتفسر

كان "ورقة بن نوفل" على علم واسع بالتوراة والإنجيل وقد قصى شطر عمره في البحث عن دين حق يعد الله به. وخلال رحلاته وأسفاره التقى بكثير من الأحبار والرهبان والناسك، ولطالده سمع سوءة تتردد بأمر رسولاً يبعث إلى الحياة دين إبراهيم على وشك أن يهمل ويظهر وذهبت بعض البهوات إلى أبعد من هذا، فحدثت مكان ظهوره - مكة وما حولها.

وعاش "ورقة" بقية عمره ينتظر على شوق يوم لظهور، ويمسى نفسه بصحبة الرسول الذي أحبت نواات العارفين على قرب محيئه، بذلك وطن نفسه على الاستقرار بمكة في انتظار لرسول

وهكذا مكد "حديجة" تقدم إليه بأروجه عليه لسلام، قائلة له

"يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك" - حتى حاجته لشواقه العميقة، وأقبل على الرسول يصغى إليه في انبهار عظيم.

ولا يكاد الرسول ﷺ يُهيى حديثه حتى يتهلل "ورقة" ويمضى بشراً ويعاين الرسول ﷺ ويقول له:

"هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى، ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك".

ويسأله الرسول ﷺ "أو مُحَرَّجٌ هُم؟..؟"

ويجيبه ورقة: "نعم، م يأت رجل قط بمثل ما جئت به، لا غودي، رن

يدركى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا

بهذه الحماوة، وبهذا ليقين تلقى "ورقة" لنا الحق لدى كان من قبل ثروة  
طال تطعه إليها.

وإنه ليرتضى أن يدركه يوم البعث لكون أول المؤمنين وأقوى الأنصار

لكه سيموت وشيكًا، قبل أن يحىء يوم البعث العظيم.

وهكذا لم يقدر له رغم فرحه العمر أن يؤمن بالرسول وبالدين الجديد

ذلك أن الدين الجديد لم يكن قد أعلن ميثاقه بعد.. والرسول ﷺ لم يؤمر أن

يشر بشيء، أو أن يتلقى بيعة

إليه الآن يعيش في يوم الوحي.. يوم ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وبعد

حين يحىء يوم البعث يوم ﴿يَذْكُرُهَا الْمُدَّثِّرُ.. قُمْ فَأَنْذِرْ﴾

وبين اليرمين (من ليس بالقصير، سينقطع فيه الوحي حكمة يعلمها الحكيم

العليم.

وخلال هذه الفترة، ستكون روح الرسول ﷺ قد أشرقت النور الجديد

وتهيأت لاستقبال مركبه العظيم

وخلالها أيضًا ستكون أشواقه الحميمة والعظيمة إلى الوحي قد فهرت كل

خوافه وتهيبه، وأعطت روحه ساعة هائلة صد أي توحس أو تسؤل

أجل. لقد ترك لأشواقه المحتدمة ولعمره تُشكل مُاخ علاقته بالوحي حين

يعاوده وبجيشه، وتُصبح استعدادة الأخير لصحته.

وهكذا، رأيته عليه سلام، يطلق أمام ضغط أشواقه إلى الحل، مقلًا وجهه

في سماء، معتصرًا مآقيه بدموع الحب والرجاء، هاتفًا صدره من أعماق صمته

المدوى، علّ روح القدس يُمُنّ عليه يغود قريب.

لكن روح القدس لا يملك من أمره شيئاً.. وفيه بعد سيحبر الرسول ﷺ  
بهذه الحقيقة قنلاً له:

﴿ وَمَا نَتَّبِعُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ نَهْمًا نَتَّبِعُ أَيْدِيَنَا وَمَا  
خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ يَدَيْكَ دَلِيلٌ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾

"سورة مريم ٦٤"

وظلَّ يعود فن الجبل راجياً أن يراه

وعنى الرعم من احتدام أشواقه، وتوقد هفتة، وتوجسه ارهيب، من أن  
يكون لله قد أهمل أمره وقلاه عني الرعم من ذلك كله، فإن ذلك كله لم يذهب  
به إلى حد الرعبة في تحرير نفسه من هذا القلق لتخلص من الحبة - كما ترغم  
بعض الأقاويل

إن كل عناصر الموقف ترفض وتدحض هذه المقولة

فليس محمد بشخصيته الراسخة وشمائه الشاحمة من يصنع ذلك، أو يهكر فيه.  
ثم إن الأشواق حين تتصجر عني سحواسى عمامة الرسول، يكون من شأنها  
أن تمنح الأمل والرجاء، لا القسوط واليأس.

أما اختياره ارتفعت ليسجى فوقه نفسه، ويتحسس أمله، فلأنها دائماً  
أصلح مواطن التأمل، والتماس السكنة، وتوقع الإلهام

ألا ما أجّلها من حكمة - تلك التي أرادت أن يفتر الوحي عنه إلى حين  
والى حنوب كونها فرصة تستوعب فيها الروح شحنة النور التي تلقاها في  
أول لقاء مع جبريل.

والى حانب كونها مجالاً لتجميع كل قوى الشخصية وحشد طاقاتها لتقوى

على الصحة الطويلة للوحي تلك الأيام ستدوم ثلاثة وعشرين عامًا كاملة  
وإلى جانب كونها تمكينًا لعلاقته المقلدة مع الوحي عن طريق تحريك أعماقه  
بالشوق الوثيق والحميم

وإلى جانب ما قد تومئ إليه من مسحة حق الاختيار إن شاء أن يتقدم حاملًا  
من أعباء الرسالة ما يطوق وما لا يحق وإن شاء فليتأخر، قل أن يرتبط مع  
الوحي بعهد وميثاق

بقول من جانب هذا الذي يمكن أن يلتبس فيه بعض الحكمة في انقطاع  
الوحي عن الرسول إلى حين فقد كان في وسعه خلال تلك الفترة أيضًا أن  
يعيش في نور الآيات الخمس التي لقته الوحي إليها في العار

هذه الآيات التي تضمن كلماتها، المعدودة على موكب راحر من المعاني  
والدلالات

هذه الآيات التي لم تستهل حديثها معه عن القرشي، ولا عن العربي بل  
عن الإنسان

﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

"سورة العلق ٥"

وكأنها تشير إلى التحوم للعيدة والسيحة لرسائله فهو - عليه الصلاة  
والسلام - لن يكون لقريش وحدها، ولا للعرب وحدهم، بل للناس كافة ولشعر  
أجمعين

كذلك سيكون في وسعه أن يروض نفسه على الكثير من لصير ولا احتمال  
وتجريد نفسه من كل علاقات الحياة والنس هذه الأمور الكبرى التي سيذكره  
القرآن بها كثيرًا فيما بعد قائلًا له.



﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْخَوْتِ إِذْ  
نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾

سورة النجم ٤٨

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾

سورة الإنسان ٢٤

﴿ وَلَوْلَا أَن شِئْنَا لَفَتَدَّ كَدُّكَ تَرَكَّنُ إِلَيْهِمْ  
شَيْئًا قَبِيلًا ﴾

سورة الإسراء ٧٤

أجل إن مع الرسول ﷺ الآن، وحلال فترة «قطاع الرُوحى عنه، أعظم  
فرص امتلاك لصبر والاحتمال والتجريد  
وكأنما أراد الرُوحى «قطاعه عنه أن يُتيح له هذه الفرصة فى دروة تعبيراتها  
ومسلكتها.

بالذين هامت قلوبهم بحب الله وتثروا حياتهم له سبحانه، قد يطبقون نصبر  
معه، أى مع ما يتوسلون به لمرضاته من عبادات باليس واسهار  
وقد يطبقون نصبر فى سبيله، بما يحملون من أدى واصطهاد لكن الأمر  
الذى يحاوز طاقتهم حقاً، هو الصبر عنه ١١

ومن ثم لا نجد نبياً ولا ولياً ولا قدساً يرزله فى أهوال الحياة كلها شيء إلا  
أن يُسلب نعمة حب الله له، وحبه لله.

والصبر عن الله أمر فوق طاقة كل قديس بل وكل نبي فكيف إذا عانى هذا

الموقف الرهيب رجل جمعه مع الله رحي سمعه، وأحسه، وراه ؟ كيف إذا عاناه  
دخل أرسل الله إليه وحياً وسفيراً، يباركه باسمه وسلعه تحته ورضونه ثم إذا هو  
فجأة ينقطع عنه دون أن يعطى وعداً بقاء ٢٢٠٠

هـا الفرصة لتي لا تتكرر، نكي نحل في روح الرسول وشخصته أقصى ما  
عرف الشر وما لم يعرفوا من قوى لصر والاحتمال والتجريد

فأما لصر والاحتمال، فهـ هو ذا يرى في خطه من لرمـ الشمس ملء  
بمبه، والقمر ملء يسـه . ثم فجأة لا يراهـ ولا يرى لا فراغاً وحيرة وليس  
أمامه سوى لصر حتى تعود الفرصة ليثيمة، إذا كان مقرباً له أن تعود ولكي  
يصر على مثل هذه التجربة ويحتملها، فإن عليه أن يمارس نوعاً من لصر لم  
تعرفه الدنيا من قبل..!

وأما التجريد تجريد يقبه بربه من كل العلاقات، حتى تلك التي تكون  
مؤبنة لليمين والعاكسـا له . فهـ هو ذا يضرب لا يحظر على قلب بشر من  
السكين والعاكسـين . وحي من لله يزوره ويُقرئه آياته، فيقول له أنت رسول الله  
وأنا حـريل ثم يمضي كأن لم يبحي، وكأن لم يكن، بل ويمقطع وقتاً طويلاً دون  
بادرة عودة.

أهـك فرصة أحود من هـذ وألح لبحرـد الرسول ﷺ يقبه من كل علاقة  
ويحرره صورة مظمة لرب العدين، ولدات القين ٢٢٠٠

أجل، إن لقطاع لوحى بعنى هـذا ولكأنه هول للرسول ﷺ ليأت الوحي،  
أو لا يأتى..

ليذهب عنك، يـ حين أو يذهب عنك إلى لأند . ذاك أمر لله مرده  
ومرجعه . أم أنت فلتبق مكائك من العدة والشك وليبق يقينك في دائرة

تَشَهُ ونَجْرُده . وِتَق رُوحك حِث هِى سائِجة فِى فَلَكَ ابعودِية الخالصة..

وبكلمة واحدة . انى مكالك، ولا تُرد من الله سوى الله !!

\*\*\*

ولقد اجتار الرسول ﷺ التحيرة بنجاح عظيم، باذلاً أقصى ما يملك البشر من طاقة - مُعَبِّاً من مقاومة القلب، ومن دعم قوى الاحتمال والصبر فى نفسه ما لا يقدر عليه سوى أولى العزم من المرسلين..

وبعد حين سحنته الوحى فى صَلَصة فرح عظيم، مستأنفاً معه لرحلة الماركة، تالياً عليه قول ربه العلى الكبير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ﴿ مَا أَنتَ بِعِزِّ رَبِّكَ

بِمُخَنَّنٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى

خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

"سورة القلم ١-٤"

لقد لمح "عمد" وفار فوراً عظيماً

لمح رسول الله ﷺ، وحاء الوحى يتوجه بأكرم وأشرف وأطهر ناح.

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

هل يستطيع أن تصور بهجة عيد وحلال لعيد الذى أقامت السماء لصفحتها  
ورسولها، حيث يتلقى فيه بعد طول قلق وتساؤل واصطبار بداء الله العظيم أن.  
هأنذا معك من جديد ومعك دائماً، يا صاحب الخلق العظيم ١١٩٩

\*\*\*

هنيئاً لك، أنا القاسم ما أعطيت وأوليت  
وهيئاً لأمتك بك.

والآن، فمع وحي الله وسفيره، لن نُقلب وجهك بعد اليوم بحثاً عنه فهو  
معك بؤذن ربه، يتنزل على قلبك بالنور والفرقان.  
فغدًا يتلو عليك

﴿ يَنَاقِيَا الْعَزْمِلُ . قُمْ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا يَضَعُهُ أُور  
أَبْقَصُ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾

سورة المرم ١-٤

وبعد عدة، يأتيك بإعلان البعثة والرسالة والتكليف:

﴿ يَنَاقِيَا تَمْدِيرُ . قُمْ فَأَسِرْ ﴾

سورة مدثر ١-٢

ثم تتولى روحاته وغدوته بين السماء والأرض. بين الله ورسوله  
لسوف يصحبك ثلاثاً وعشرين سنة

وسوف لا تفتقد أبداً مدد ربك، ولا صُحبة خليلك وستتم أسعمة لك  
وعليك يا أب القاسم..

ولسوف يعطيك ربك فترضى.



## الفصل السابع

أبشر يا محمد وتنا...؟!!



كانت مأساة البشر عبر الخقب والقرون، أنهم كلما جاءهم رسول من أنفسهم يأكل مما ياكلون منه، ويشرب مما يشربون يحمل لسايم، ويتحدث معهم وإليهم بلعنهم..

كنت مأساتهم أنهم يديونه ما كس يسفى أن يكون مريض الإجلال والتوقير، وداعى التصديق والتوثيق..

أحل - كنوا يدينون بشريته، صاين بذرسلاله على الشر وصى الإنسان !  
كان ذلك يعنى المراوغة والهروب من مواجعة الحق المبين.. كما كان يعنى جهلهم الأعمى بقيمة الإنسان..!!

هالك استكثروا أن يصطفى الله من الشر رُسلًا وأنباء، فقلوا - فى كل أحقادهم، ولكن رسلهم.

﴿ أَتَنْفَرُّتْ دُونَنَا ﴾ ١٤

كأنهم لم يعرفوا، أو عرفوا ولم يصدقوا أن الله اصطفى آدم، ونوحًا، وآل إبراهيم، وآل عمران على العالمين.. وأنه سبحانه وتعالى آثر "آدم" عليه السلام، فجعله فى الأرض خليفة، رغم تطلع ملائكته المقربين لهذه المكانة الرفيعة وأنه -  
عر وحل - كرم أنبياءه وفصلهم على كثير من خلق تفصيلًا. ١٥

\*\*\*

كل أمة قد خلا فيها نذير. وكل أمة قانت لسيدها ورسولها: "ما أنت إلا بشر مثلنا".

وأي بأس... ٩٩

أكانوا ينتظرون "ملكاً" رسولاً... ٩٩

أليس الله أعلم حيث يجعل رسالته. ٩٩

وإذ كنوا لم يطيقوا صحة لرسول البشر، وهو واحد منهم. فأنى لهم أن يطيقوا الرسول المذكور وأنى للملك أن يصير على صحتهم، وعلى مكرهم، وما يافكون... ١٠٩

كلهم قالوا "أبشر يهودنا". ١٠٩

وكذلك قالت "قريش" لاسها الأمين ولقد حذرنا الله سبحانه في قرنه العظيم، وحذر كافة المشركين والمكذبين الذين أحصوا أصغابهم وأحقادهم حلف هذا لمحق المهمل، والمقومة نداء حصة حذرهم أن يركبوا سنة الدين من فلسهم فقال جل جلاله.

﴿ أَنْتُمْ يَا نَكْرَ نَبُؤَا الْوَيْنِ كَهْرُوا مِنْ قَتْلٍ فَذَقُوا وَبَلْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ عَذَابُ الْيَمِّ ﴾ دَلِيلُ بَأْتُهُ كَانَتْ نَأْتِيَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ يَهُودُنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۚ وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝

سورة التوبة ٥٠، ٥١

تلك كانت مشكلة المكذبين بآيات الله ورسله..

فماوا

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝

سورة المزموذ ٣٣



وقالوا

﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَصَّلَ عَيْنَكُمْ ﴾

'سورة المؤمن ٢٤'

وقالوا لرسولهم

﴿ مَا أَنتُمْ إِلَّا نَشْرٌ مِثْلُكُمْ وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ﴾

'سورة مريم ١٥'

وقالوا.

﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُّكَ لَمِنْ الْكَذَّابِينَ ﴾

'سورة الشعراء ١٨٦'

وقال بعضهم لبعض.

﴿ وَلَئِنْ أَطَعَمْتُمْ نَشْرًا مَثَلَهُمْ يُكْفَرُونَ لَخَسِرُونَ ﴾

'سورة المؤمن ٣٤'

وقالوا

﴿ أَأَنْشَرَنَا مِمَّا وُحِّدًا نَقَعُهُمْ إِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسُعْرٍ ﴾

'سورة القمر ٢٤'

\*\*\*

بهذه التمسؤلات العلية. واجه قوم كل رسول رسولهم وبمثالها واجه مشركو

مكة سيدنا محمد ﷺ رسول الله إليهم، وإلى العالمين !!

ولقد كان المرسلون جميعاً . عليهم صلوات ربنا وسلامه - لا يكفون عن

تقرير بشريهم، وتوكيدها.

﴿ قَدْ سَأَلْتَهُمْ رُسُلُهُمْ يَا نَحْسُ لَا بُشْرَ مِثْلِكُمْ ﴾

"سورة يونس ١١١"

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ  
إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾

"سورة الكهف ١١٠"

﴿ قُلْ مُنْجَحَانِ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾

"سورة الإسراء ٩٣"

وكان لرسول "محمد" عليه أفضل الصلاة وأرکى السلام يؤكد هذه الحقيقة، ويُعنى بتزسيحها في قلوب الناس وعقولهم. وعلى الرغم من أن خصومه من المشركين كانوا يركزون على هذه المقولة ويجعلون منها ومن المعجرات مادية المحسوسة تحداً مزعجاً إلا أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - بقي صامداً مؤكداً أنه رسول من البشر، رابى البشر مُعلنًا ما أمره ربه أن يصدع به

﴿ قُلْ لَوْ كُنْتُ فِي الْأَرْضِ مَنِيكَةً يَمْشُونَ  
مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَنَكًا رَسُولًا ﴾

"سورة الإسراء ٩٥"

لقد جهل المشركون أن الله - جل جلاله - لا يمتحن، ولا تاله اعتبارات الناس وتفسيراتهم ومن ثم فهم ساطلون ومطلون حين يتناولون بالقول، فيسألونه سبحانه أن يريه مقدرته من خلال "محمد" إذا كان إلهاً حقاً قديرًا وأن يريهم صدق "محمد" ﷺ من خلال قدرته وتوثيقه وتأيدته هذه سورة

ولصاحبها !! لم يستطيعوا أن يرتفعوا بتفكيرهم إلى المستوى الذي عنده يدركون أن معجزة " محمد ﷺ " هي " محمد " ذاته " ١١ " وأن أروع آياته ومعجزاته، مثل في أن الله جعله هدى ونورا وأن القرآن العظيم بكل مقاييس العظمة، الصدق بكل مقاييس الصدق، هو المعجزة، اللانقطة بدين هو حاتم الأديان ومن ثم فهو سابق، وحال، وعميم ولأنه كذلك، فإن توثيقه لا يعتمد على حورق مادية، لا يراه إلا الدين بشهادتها في بصع لحظات، ثم تنتهي وتصبح مجرد ذكرى وأحاديث

إنما يعتمد على " كتب مُبَرِّكة " لا يصل بهاؤه.. يحمل إلى البشرية في كل عصورها وأحبها ما أودعه الله فيه من حكمة وهدى وبور.

\* \* \*

لم يدرك أهل يوم في عصر الرخى هذه الحقيقة لنصعة والساطعة ولا يراون كثيرون من حصوم الإسلام في عصرنا هذا، عشرين عن إدراكها أو هم قدرون على إدراكها ورؤيتها وسماعها، لكنهم لا يستحيون ١ طلب كفار مكة برسول الأميين بصع خوارق مُصْحَكة حملها القرآن تكريم إليهم، وإلى لأحيال..

﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾ ١١ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ جَدِّ وَعَسَىٰ فَتُفْجِرَ لَأَنْتُمْ جَنَّتُهَا تُفْجِرًا ١٢ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَيْنَ كَافٍ أَوْ تَأْتِيَ بِلَهُ وَآلَمَ يَكُونُ قَبْلًا ١٣ ۝ وَيَكُونُ لَكَ نَيْتٌ مِّنْ رُّحْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُقْيَاكَ حَتَّىٰ تَرْقَىٰ عَلَيْنَا نَقْرُؤُهُ ١٤ قُلْ مُتَحَدِّثِينَ هُنَّ كُنْتُ

إِلَّا نَشْرًا رَسُولًا ﴿٩٧﴾ وَمَنْ مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ  
الْهُدَىٰ لَا أَنْ قَالُوا أُنْعِمْنَا نَشُرَّ رَسُولًا ﴿٩٨﴾

سورة الإسراء ٩٠-٩٤

ماذا وراء هذا اسطق المحبول إن كان مطلقاً على الإطلاق ؟  
وراءه أناس، لا يريدون رسولاً بل يطربون "ساحراً" يسترهبهم  
سحره. !!

ويطلبون "إقطاعاً" ضخماً و "رأسماً" فخماً، تكون له القصور  
المزخرفة، والحدائق البادحة !!  
ويستغنون "إيها" يسقط السماء كسفاً ويرل إليهم متحدثاً معهم، ومُصدِّحاً  
لهم.. وتحىء معه الملائكة قبيلًا.. !!

وتولى الله الجواب بما أنزل على قلب رسوله

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرٌ رَسُولًا ﴾

\*\*\*

إن الصادق يحمى نفسه، ويؤكد هودته. وهذه أوصح سماته، وأعظم ميراته  
ومع الصادق، تحىء معجزة أخرى من المعجزات الأصيله، والحقيقة بالتقدير،  
تمثله في هذا القدر الساهر من الثبات والمثارة ثبات الرسول ﷺ وثبات  
أصحابه العزل والمستصعبين، كبت أولى محابته ومواهبته للحصومات اللجة،  
والتحديات اللاهثة.. مما حاة بالغة القسوة بيد أنها في نفس الوقت كانت نعمة  
مُقنَّعة جاءت في أوانها !!

ذلك أنه بعد فتره من معشته، وحيث كان يُبشر بدعوته سرّاً، حاه الوحي  
الأمين حاملاً أمر الله لرسوله ﷺ بالخهر والعلانية:

﴿ فَأَصْدَغَ بَعْدَ تَوَمُّرٍ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

"سورة إبراهيم ٩٤"

فهصص عليه السلام، آخذًا طريقه إلى تلة الصفا ومن عليائها راح يُندى بصوت قوى جهير داعيًا العبريين إلى الإقبال عليه، والإصغاء لما يقول وكان قبل ذلك قد أرسل في طلب زعماء قريش وشيوخها ليلتقوا به عند الصفا

وهناك وقف يُلقى أولى كلماته الجهرية لمحنة

"أرايتم لو أحررتكم أب حيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصدقين ٩٤"

وأحاطوه بماء حيرتهم بظهر حياته، وبصدق كلماته وبمعتهم الكامله النى أصفاها عليهم سلوكه العظيم واليبيل، مند كان يافعًا. وحتى هذه اللحظة النى يهصص فيها حطبًا

أجابوه: نعم والله بصدقك، فما جربنا عليك كذبًا أبدا

قال ﷺ

"فلأبى بدير لكم بين يدي عذاب شديد، وبى رسول الله إليكم أن تعدوه وحده، ولا تُشركوا به شيئًا"

الله وحده ولا شريك له

فأبى إذن "هبل، واللات، والعزى" ١٩

كانت كلمات الرسول ﷺ بعابره القصر كوميص الرق وفعمعه لرعد

أم الثلاثون الدين كانوا قد استحبوا الله ونلرسول، وأسلموا فى مرحلة الخفية والمساررة، فقد أضاءت وجوههم أنوار متألقة عامرة

وأما الكفة من أهل مكة الذين يستمعون هذا النشيد السماوي لأول مرة، فقد راكحوا يتبادلون الدهشة و لطرات وأما عليّة قريش وصفوتها، فقد بهوا، ووحوا، والتقت بطر تهم الخائفة و الخائفة عند وجه "أبي هب" وكأنها تسأله -

ما رأيك في ما سمعت، يا عم محمد ؟!

وكان أبو هب عند حسن ظنهم بحمقة، تصح في وجه ابن أخيه عبارته المكرة: ثأ لك.. أهذا جمعتا..؟!!

وكانت مفاجأة قاسية فها هو ذا عم "محمد" عسه السلام، هو الذي يُسمه مُبادرته الكريمة، ويشجب دعوته العظيمة !!

لم يأت هذا الشجب، ولا هذا الاستنكار من أحد آخر . إنما جاء من عمه، وأقرب الناس إليه !!

بيد أن هذا الموقف المشحون بالإحراج، وبالسوء، كان كما أسلفنا "نعمة" مُقنّعة ومتنكرة في سورة بلاء

لكأني أرى الله سبحانه، أن يضع هذا السير أمام رسوله ﷺ لكأنه يقول له أمامك زمن صعب، وجهاد عسير، فلا تعتمد على غيرنا، ولا تعقد الأمل على سوانا، ها هو ذا عمك . انظر كيف تحذرك من دون الناس حيفاً، بدلاً من أن يصرك، ولو بالصمت للمرور . امض لأمرك . ودع ثرثيب غير أمورك وستري أننا أولى بك منك.

ياله من درس حكيم وعظيم، جاء في مواعده وأوانه..!! ولقد حذق لرسول ﷺ الدرس واستوعبه تماماً فها هو ذا نُعيد وفاة زوجته "حليجة" وعمه "أبي طالب"، وكنا أكثر الناس احتراماً له، وحرصاً عليه، وتقائياً في حبه ونصرتة، لا يُحاذر ولا يخشى . ولا يتحفف من عبثه، ولا يتشد في خطوة، ولا

يجرى حسناً مع نفسه ومع عواقب الأمور بعد أن رحل عنه نصيراه الأثيران والكبيران... بل يحمل قلبه الجسر في يمينه - برك الله يمينه - مؤلف وجهه شطر مدينة "الطائف" داعياً أهلها الشرعيين إلى دين الحق، راحياً أن يشكل مهم كتيبة من كتائب الدعوة، تشد أزرها، وترد كيد عاديتها.

م يحف، ولم يحصل، ولم يصطحب معه أحداً من أصحابه المؤمنين من ذهب فرداً متفرداً، لا يالو على شيء ولا يحسب للمفاجآت أي حساب!!

وحين لقيه رعماء لطائف بصلفهم وبشر ستهم إلى الحيد الذي اغرروا فيه سهاءهم أن يسحروا به ويحبسوه بالحجارة حتى أدموا عقبيه، م تهرء المفاجأة على الإطلاق!!

ألم يتوقع النصرة في مظنئها، يوم حديثه الأول إلى قريش على الصفا ٩٩ ثم جاءته المفاجأة الداهلة حين أحلف الواقع صه، فإدا عمه "أبو لهب" يكون أول من يلقى القفاز في وجهه.. ١٩٠

أنى يجيئه الخوف من المفاجآت مهما يكن سوءها وسوأتها ٩٩. وأنى به انتظار النصر من غير رب لنصر، العالب على أمره المسيطر بقدرته وقدره ١٩٠!

لقد صدر عنه الصلاة والسلام صديقاً للمجهول لا تستشره لمفاجآت مهما تتلمع بالغموض.. ولا ترحمه أو تفرعه احتمالات العواقب مهما تحمد من حراح ورصوص. ١١ أما أعداء الله وأعداؤه، والصاعون على دعونه والحاقدون على شرف رسالته، فقد ذهب الله نورهم، وتركهم في ظلمات لا يصفرون



ك ثبات سيدنا "محمد" ﷺ وكان بصبره ومثابرته ثم من بعد ذلك كله أو معه، كانت تصحياته المتألعة، والمنهوية، تصع وتصوع وتكتب تزيح حديدًا

لشرف الإنسان . وشرف الإيمان..

ولقد سيع رحل ما من الرجال أعلى وأسمى آفاق اشات و انتصحة والمثارة  
نتيجة احتوائه على قدرات عقلية ونفسية هائلة..

أما أن يتفعل نفس القدر من التصحية والمثارة والثبات إلى الآخرين الذين لا  
يملكون مثل قدرات نفسه وعقله وروحه والذين لا يدفعهم من دواع الدنيا  
ومموحاتها أي دفع والذين يرسلون حواطمهم نحو المجهول، فلا يجدون على  
حاييه إلا أخطاراً مُحَدقة وشدائد مرحة. ومحنًا ترحم الطريق الطويل !!

أقول: أما أن يحدث ذلك، فالأمر إذن أمر إعمار فرد، بقدر ما هو محمد !!  
أقول: أما أن يتصدّر صفوف المكرين بالإسلام ثلثة من صفوة قريش  
وحكمائهم.. مُعرضين شرفهم اربع وجاههم العريض، ورعاتهم، ومكائهم  
لأسفاف المشركين وسفالاتهم وكيدهم الأحق، وأدائهم المسعور دون أن يكون  
هناك مخائم ينتظرونها، وأمانى يترقبون مجيئها، واثقين لا غير - بكلمة واحدة  
واعدة همس بها الرسول ﷺ في آذانهم.

لجنة !!

فهذا إعمار آخر.. ولن يكون الأخير !!





## الفصل الثامن

المادة ٨٠



ما دام لدى اختاره لرسالته وحمل كلمته هو الله رب العالمين الله ادى بيده  
مقلد كل شيء، ويعلم السر وأخفى ما دام ذلك كذلك، فما أظن أن لنا الحق  
- إن كنا بالله من المؤمنين - أن نلقى بهذا السؤال جهره، أو نظوي عليه الصدور  
فرب العظيم وهو العليم الخبير أنانا حين قل حل جلاله.  
﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾

سورة الأنعام ١٢٤

ولم يكن علم الله بمن يختاره لرسالته خاصاً بسيد محمد عليه السلام بل عاماً  
في كل اختيار لكل المرسلين.. يقول سبحانه

﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

سورة النحل ٣٢

فبعلمه الذي لا يعرف عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء  
ومشيئته التي لا تغلب، وبحكمته التي لا تعمو، ولا تتردد - اختار من عباده  
إبراهيم وموسى وعيسى ويوحنا ويونس وإخوانهم من الأنبياء والمرسلين، ثم  
حتمهم محمد ﷺ لرسول والى الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، ثم قال لا  
﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

سورة الأعراف ١٥٨

ولأنه حتم المرسلين، أحد الله له انبياءة منهم ومن أمهم جميعاً وإله ليقول

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَنْ تُصْرِفُوهُ ؕ قَالَ ءَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَنْ دِلِّكُمْ إِضْرِبْ ؕ قَالُوا أَقْرَضْنَا ؕ قَالَ فَآشْهَدُوا ؕ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

سورة آل عمران: ٨١

وهكذا يجب الله كل من يسأل - وقس أن يسأل - لماذا احتار "محمدًا" ﷺ ليحمل رسالته إلى الناس - جميع الناس مبشراً وبلديراً، وداعياً إلى الله بإذنه وصراحاً مُبشراً..

\*\*\*

وحين يختار الله حل حلاله من عباده من يُعلم، ويهدي، ويقود، رافعاً راية الحق والخير والطهر والحرية والعدل، فمن البدهية أن يُهيئه لهذا الدور بأعلى الخصائص وأسمى الأخلاق في الوسط والغايات ولا يستطيع من يعرف سيد محمدًا ﷺ أو من يريد أن يعرفه ألا يقف طويلاً مع أعرف الناس به وأكثرهم صحبه له وأصدقهم بهجه إذا تحدث عنه

ذلكم هو صاحبه وابن عمه وروح كريمته الإمام "علي بن أبي طالب" كرم الله وجهه، فلتصغ له وهو يتحدث عن الرسول ﷺ

"كان دائم البشر، سهل الخلق، لين الخاب.. ليس بمط ولا غبيظ ولا صحاب ولا عتاب أجود الناس صدره، وأصدق الناس لهجة، وألهم عربكة، وأكرمهم مشيرة من رآه سيهة خآبه ومن حاطه معرفة حته.. يقول وصيه لم أر قبله ولا بعده مثله لا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح.. وما رأيت

منتصراً لنفسه من مظلمة طغيانها قط إلا أن يُشَهِّكَ من محارم الله شيء فمعدنك  
يكون أشد الناس عصباً.. وما خيراً بين أمرين إلا حَتَّارُ أَيْسَرَهُمَا كانَ يحيطُ ثوبه،  
ويحلب شتته، ويجدم نفسه إذا عصب أعرص وأشاح وإذا فرح عصر طرفه  
وكاد يتفقد أصحابه، ولا قصر عن الحق ولا يجاوزه أخص لسان عده  
أعظم نصيحة، وأعظمهم لديه مرلة أحسنهم مؤاساة ومُؤارزة.. إذا انتهى إلى  
قوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم  
عليه منه قد وسع الناس سبطه وخلفه، فصار هم أباً وصاروا عنده في الحق  
سواء.

قد طهر نفسه من ثلاث

■ البراء . والكبر . ومالا يحسه

\*\*\*

هذه بعض محمد "محمد" وحصاه.

وحسبه أن يُقسم ربنا العظيم له ولنا فخاطبه قائلاً

(وَبِكَ لَعَلِّي حَقٌّ عَظِيمٌ)

١٠ سورة الضحى

هذا هو الذى نادى الشر بالأمس، ويأديهم اليوم، وغداً، وبعد غد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها

والصلال.. والمشرّين سوء النصير وأمال ١٩٩

سُئِرَ وَتُصَرَّوْنَ وَتَسْمَعُونَ وَتَسْكُنُونَ الْخَيْرَ كُلَّهُ مِنْ حَيْثُ الَّذِينَ

يَبْصِرُونَ بَصَائِرَهُمْ قَبْلَ أَبْصَارِهِمْ وَيَسْمَعُونَ بِأَفْئِدَتِهِمْ قَبْلَ أَدْبَانِهِمْ..  
ثُمَّ يُمَجِّدُونَ اللَّهَ وَيَحْمَدُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾

'سورة آل عمران: ٨'



## الفصل التاسع

فليس في الإنسان





سعى إلى الرسول ﷺ يوماً واحداً من زعماء الخزيرة العربية هو "مفروق بن عمرو"، وواجه الرسول ﷺ بهذا السؤال:

إلام تدعو، يا أحمق فريش؟؟

أجابته لرسول ﷺ أدعو إلى توحيد الله، وأنى رسوله قل مفروق وإلام أيضاً؟؟

فتلا الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْغَيْبِ يُعْطِيكُم مَّا تَدْكُرُونَ ﴾

"سورة النحل ٩٠"

فقل مفروق: "هذا والله دين لا ينفر منه عاقل، ولا يغيب عن مثله كريمة" !!

إذن، فهذه دعوة الرسول ﷺ ومبادئ دينه وعقيدته.

- توحيد الله، وتوجيه أفضة الناس جميعاً إلى أن إلههم واحد - رب السموات والأرض، وما بينهما، ورب المشارق والمغارب .

كما نصمنا بدعوه بعد الإيمان بالله الواحد الأحد - الإيمان برسالة "محمد" الذي اختاره الله ليبلغ عنه ويشر به، ويدعو إليه وماذا أيضاً نختصه

دعوته ورسالته؟؟

العدل. والإحسان.. ورفض الفاحشة، والمكر، والبيع

وهذه هي التحليل النهائي لها، جميع ما تتطلبه في إلحاح وحتمية الحياة .  
والإنسان، لكي يبقى بلحياة اردهاها، وللإنسان إنسانيته!!

ولقد فهمها " السائل " مقال قرأته بذكىة التى علق بها على إجابة الرسول  
وفى القصور القادمة إن شاء الله تعالى سئلتهى بتصصيل ما أوجره سيدى  
مفروق فى بضع كلمات..

كان " مفروق " من سادات العرب وأمام إجابة الرسول عن سؤاله، ألقى  
السمع وهو شهيد معد أن هذا الدين أصدق وأوثق وأحل من أن يصرف عنه  
رحل رشيد..

وموقف " مفروق " هذ يصحح فكرنا عن أوائى المسلمين الذين سارعوا إلى  
الرسول ﷺ فى حب عامر وإيمان مكين.

ذلك أما نقف عند نفر من الفقراء والعبيد الذين سارعوا إلى الإسلام مثل  
" بلال " و " حناب " و " آل ياسر " - فنظر أنهم وحدهم كانوا أبطال المشهد  
الأول ناسين ذلك النفر من العلية الدين م يكادوا يصرون شفتى الرسول  
العظيم تفرحان عن كلمات الله ، بقرآن والإسلام يَمُمُّوا مسرعين نحو  
لرحيق، ولور، والمستعمل الموعد فكان هناك " أبو بكر " و " عبد الرحمن بن  
عوف " و " سعد بن أبى وقاص " و " عمر بن الخطاب " و " عثمان بن عفان "  
وكلهم، ومثلهم معهم، من سادات فريش ومن صفوة رحالها.

وهذا يدلنا على أن شخصية الرسول المقبنة، ولأسرة - كانت شخصيته  
وسط تمنح بالقسط شرف الحق وور الإيمان وتقوى الحياة.. ولا يكاد أحد

يلقاها بصدر ودود، وفهم دُشيد حتى تنال عليه بركاتها مائة رُوعة بالإحلال  
وباليقين

في كتابي "نسائيات محمد". أهديت الكتاب إلى سيدنا الرسول ﷺ في هذه  
الكلمات

يا من جئت الحياة فأعطيت ولم تأخذ يا من قدست بالوجود كنه،  
ورعيت فصيحة الإسار..

يا من ركبت سيادة العقل، ونهضت غريزة القطيع.  
يا من هياك تعوقك لتكون سيداً "فوق" الجميع، فعشت واحداً "من"  
الجميع..

يا من أعطيت القدوة، وضربت لئس، وغشيت الطريق  
- يا أيها الرسول، والأب، والأخ، والصديق..

إليك أهدى هذه الصفحات بي حياء من يعلم  
أنه يجاوز قدره بهذا الإهداء

و لأن، فإن الصورة التي رسمتها كلمات الإهداء لم تتعير، ولم ينصل  
بهاؤها.. بل ازدادت ألقاً وصدقاً ومجداً

فهذا - حقاً - هو الإنسان الكامل الذي قدمه الله لعباده وهدى يدي  
الإسلام لبشر إليه، ليطلبوا عظمته. ويقرأوا رسالته ويهيموا حقيقته، فإذا هم  
به من المؤمنين وله من التابعين .

وعلى الرغم من أنه عبد ربه أوأب فقد كد لب رسالته إرهاب الحياة،  
وبهاض الإنسان

إنه يريد للحياة إعماراً لا يؤدى بانتهاء ولا بصرف عنه انقطار السماء، ولا انتشار الكواكب، ولا تمجُّر البحر وعثرة القصور، ولا كل مظاهر البعث والقيامة والنشور!!

ولنصغ لقوله ﷺ

"إذا قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فليغرسها"

لو جمعنا كل ما قاله الفلاسفة والعلماء والحكماء فى دعم الحياة واحترام حقها فى الاستمرار والتقدم والإعمار، ما بلغ معشار ما تُثبته كلمات الرسول هذه

"إذا قامت الساعة، وفى يد أحدكم فسيلة، فليغرسها"!!

إن الفسيلة من صغار الحنلى تُغرس فى الأرض تنمو فيما بعد نخلة ناسفة لها طلع نصيد فأى نوع وأية حدودى من عرسها إذا كان يوم البعث قد أطل بأهول له وقام لناس لرب العالمين ١٩٩

إنه الالتزام المقدس تجاه العمل والحياة، يحرص الرسول ﷺ على قيام المسلم به حتى والدنيا تلمظ آخر أنفاسها..!!

\*\*\*

ولا يقل نهوضه بالإنسان عن إبقائه على الحياة وإلإسان مُصطفى الله لخلافه فى الأرض، وموضع إكرامه وتكريمه

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْحَرِ  
وَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ  
خَلَقْنَا تَفْصِيلاً ﴾

والعمل في سبيل بهوصه ورفعته وتقدمه الروحى والمادى، ودعم حقه فى الحرية والعدالة - هو لب رسالة كل سى وكل رسول

ولما كان الرسول محمد ﷺ خاتم الأنبياء وآخر المرسلين فقد كان اهتمامه وكانت همومه بالإنسان أكثر أعباء وأثقل حملا من كل أحد وأثقال إخوانه لذين مسفوء من الأنبياء والمرسلين، وبروحه الصير وعمره التقدير، حول هذه لأعباء والأثقال إلى قبض لا يفيض من الحزن والرحمة والحب

يسمع أصحابه يلعبون وحدثا من مسلمين شرب الخمر بعد تحريمها فبرحهم الرسول ﷺ وبينهاهم قتلا

لا تلعون، فإنه يحب الله ورسوله

ولم لا يفعل، وقد قال الله عنه

﴿وَإِنَّكَ لَعَنَى خُنْفٍ عَظِيمٍ﴾

'سورة القم ٤'

وقال فيه

﴿بَقَدْ حَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَشَتْ خَرِيصٌ عَيْنُكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

'سورة التوبة ١٢٨'

وبه ليقول

بينما نغى تسير إذ رات كلبا يلتهث من العطش،  
فخلعت موقها وأذنته فى بئر حتى ملئ ماء، فسقته،  
هشكر الله لها، وغفر لها، وأدخلها الجنة

ليس شرطاً أن تكون هذه الكلمات اليباعات تصويراً لحادث حدث وواقعة وقعت وحسبها أن تكون مثلاً رمزاً لرحمة ربنا وحنانه وهباته كما يفهمها الرسول ﷺ، وكما يُدرك أبعادها الخليفة التي تُطالُ كمر أعرض الصصف الإنسي وم ينتج من ذنوب وخطايا وأوزاراا

فالغنى المتقلبة بين أحضان المكر والفاحشة يستوقفها طمأ كس يلهث، ويتدنى قلبها الكسر عاطفة حانية، فتشق مُرطط بصفين وترط به موقها أي نعلها ثم تلقيه في غيبة البئر، حتى إذا امتلأ ماء جدته في رمق.. وللأهث بظمان لاث يترف ويهر دينة في سرور ودهشة وأخيراً تُدبى الغنى ماء في فمه المرغف، فيشرب عللاً بعد نهل حتى إذا زوى أقبل عليها يمسح كفها ودراعها بدسبه تعبيراً عن شكره وعرفانه.

ويتمرض الرسول الكريم ﷺ أن الله يرقب المشهد من هناك من فوق سموده وعرشه المجيد ويسألنا ما تطون أن الله صابع بهذا المعى ٢٢  
لقد شكر لها.. وعمرها وأدخلها الجنة. ١١

\*\*\*

ألا صدق ربنا العظيم حين قال لرسوله ﷺ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

سورة الأنبياء ١٠٧

وصدق الرسول ﷺ حين قل عن نفسه:

"إنما أنا رحمة مهداة.."

تصوروا رسولاً جاء لغير العالم يُعنى في س عظيم بالحيوان في لحظات

دجحه، فيقول

"إذا ذُبِحْتُمْ، هَأْخَسُوا الدُّبِيحَةَ وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ  
شَفْرَتَهُ. وَلْيُزَيِّحْ ذُبِيحَتَهُ"!!

وإنه - عليه الصلاة والسلام - ليمر برجل يُوثِقُ ذُبِيحَتَهُ بالحبال والسكين في  
يده ترمقها الدبيحة بنظرات حزينة متفحعة، فنأى الرسول بوجهه وبصره، ويأمر  
الرجل أن يُورَى شَفْرَتَهُ ويرحم الدبيحة من أن تشقى برؤيتها مهددة متوعدة !!

\* \* \*

والآن، فليرسل البصر متجهماً وناقماً إلى التَّيْنِ الروسي الذي يقترف في  
"لشيشن" ومع شعبها المسلم كل أنواع الإفك والقتل والحرق والإجرام  
وليرسل البصر إلى لوسنة والمهرسك حيث يدمر الصرب الملاعين كل شيء  
هناك - الإنسان، والحيوان، والدور، والمسجد، والمدن، والقرى  
وحيث يُجهرون في وجبة واحدة على ثلاثة آلاف مسلم حرقاً دليلاً!!  
ولم يكفهم هذا، فراحوا يفعلون ما يتحلى الشيطان من فعله، ويخفون أرحام  
المسلمات العفيفات المحصنات بطف الكلاب!!

ويرعمون ومن وراءهم من محرمين اكبار أنهم للسيد المسيح أثناع وأشباع  
والسيد المسيح يصق عليهم ويعذبهم ويأذيهم.  
"يا أولاد الأفاعى.."

"كيف تتكلمون بالصالحات وأنتم هجرة" ١٩٩٩

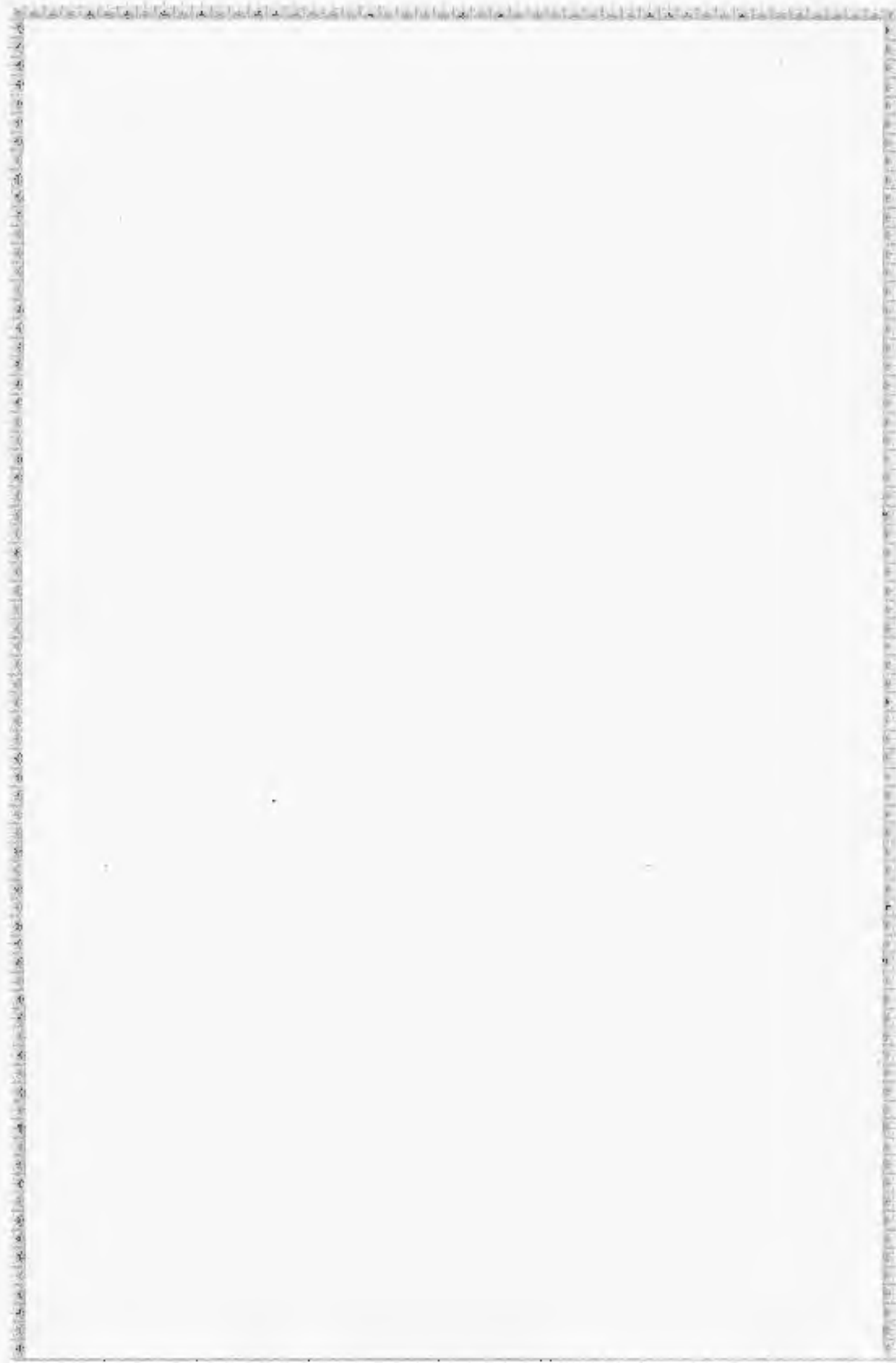
إب إذا تحدث عن رحمة الرسول ﷺ وتكرمه الإنسان فلا حق لك في أن  
تقحم على الحديث أدنى ذكر لأولاد الأفاعى القتلة ولأقبي، الذين يركم سنهم  
الأبوف .







فہرست



٧	..... مقدمة
١١	..... بين يدي الكتاب
١٩	..... الفصل الأول : بشر مثلكم
٣٣	..... الفصل الثاني : رجل كل العصور
٤٧	..... الفصل الثالث : البشريات بين يديه
٦٣	..... الفصل الرابع : الرجل الكامن في الطفل
٧٥	..... الفصل الخامس : الرسول الكامن في الرجل
٨٧	..... الفصل السادس : وجاء يوم الشروق
١٠٥	..... الفصل السابع : أبشر يهودتنا ؟
١١٧	..... الفصل الثامن : ولماذا هو بالذات ؟
١٢٣	..... الفصل التاسع : فلينهض الإنسان

## كتب المؤلف

- ١- من هنا تبدأ
- ٢- مواطنون .. لا رعايا
- ٣- الديمقراطية، أبدا
- ٤- الدين للشعب
- ٥- هذا.. أو الطوفان
- ٦- لكى لا تخرثوا فى البحر
- ٧- لله والحرية. (ثلاثة أجزاء)
- ٨- معا على الطريق محمد والمسيح
- ٩- إنه الإنسان
- ١٠- أفكار فى القمة
- ١١- نحن البشر
- ١٢- إنسانيات محمد
- ١٣- الوصايا العشر
- ١٤- بين يدى عمر
- ١٥- فى البدء كان الكلمة
- ١٦- كما تحدث القرآن
- ١٧- وجاء أبو بكر
- ١٨- مع الضمير الإنسانى فى مسيره ومصيره
- ١٩- كما تحدث الرسول (مجلد)
- ٢٠- أزمة الحرية فى عالمنا
- ٢١- رجال حول الرسول (مجلد)
- ٢٢- فى رحاب على
- ٢٣- وداعا عثمان
- ٢٤- أبناء الرسول فى كربلاء
- ٢٥- معجزة الإسلام عمر بن عبد العزيز
- ٢٦- عشرة أيام فى حياة الرسول
- ٢٧- .. والموعود الله
- ٢٨- خلفاء الرسول (مجلد)
- ٢٩- الدولة فى الإسلام
- ٣٠- دفاع عن الديمقراطية
- ٣١- قصتى مع الحياة
- ٣٢- لو شهدت حوارهم لقلت
- ٣٣- الإسلام ينادى البشر
- ٣٤- إلى كلمة سواء
- ٣٥- قصتى مع التصوف

تطلب كتب المؤلف من دار المقطم للنشر والتوزيع